

جامعــة الأزهــــر
كليــة أصــول الديــن
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

العـقـل عند الماتريدية

"دراسة موضوعية"

إعداد الدكتور

على أحمد التجاني

مدرس العقيدة والفلسفة - كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون - فاقوس شرقية - جامعة الأزهر الشريف -
جمهورية مصر العربية

الماتريدية والعقل (دراسة موضوعية)

على أحمد التجاني
قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر الشريف، الديدامون، فاقوس، محافظة الشرقية، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: alitijan.sha.b@azhar.edu.eg

ملخص البحث

هذا البحث، **يهدف** فيه الباحث، إلى إظهار مكانة العقل والاستدلال العقلي عند الماتريدية، وقد بين فيه الباحث من هم الماتريدية، وما هي أقوال العلماء في العقل، وما هي أهمية العقل واستعمالاته عند الماتريدية، وقد بين الباحث ذلك من خلال نماذج تطبيقية مثل مكانة العقل في معرفة وجود الله تعالى وأدلة ذلك، وكذلك دور العقل في التأويل، وقد استخدم الباحث في هذا البحث **المنهج التحليلي والاستقرائي والاستنباطي، وتوصل إلى أن:** الماتريدية أحد جناحي أهل السنة، العقل هو مناط التكريم والتكليف من الله تعالى للعباد، العقل لا يمكن الاستغناء عنه في كافة مجالات الحياة، العقل هو أحد اركان إثبات العقائد مع القرآن الكريم والسنة النبوية، الماتريدية يقرون بأن العقل له دور أساسي في معرفة وجود الله تعالى، وفي الاستدلال على وجوده تعالى، الماتريدية يقرون بأن التأويل ليس فاسداً في ذاته؛ لأنه إن استعمل بضوابطه، فسيكون مفيداً جداً، الاختلاف العقدي الناتج عن التأويل، في الغالب ليس مرده إلى آلية التأويل في ذاته، بل إلى تلك الأفكار المسبقة، والعقائد المنحرفة التي تكمن وراء استعمال التأويل.

ويوصي الباحث بمزيد من الدراسات والأبحاث حول الماتريدي، والماتريدية، ودورهما في بلاد ما وراء النهر خاصة، والعالم الإسلامي عامة.

الكلمات المفتاحية: الماتريدية – العقل – النقل – وجود الله – التأويل.

Maturidiyeh and the Mind (Objective Study)

Ali Ahmed Tijani

Department of Creed and Philosophy, College of Islamic and Arabic Studies for Boys, Al-Azhar University, Didamon, Faqous, Sharkia Governorate, Arab Republic of Egypt.

Email: alitijan.sha.b@azhar.edu.eg

Abstract

This research, in which the researcher **aims**, is to show the position of the mind and mental reasoning in the Maturidis, in which the researcher explained who are the Maturidis, what are the sayings of scholars about the mind, and what is the importance of the mind and its uses for the Maturidis, and the researcher demonstrated that through applied models such as The position of the mind In knowing the existence of God Almighty and the evidence for that, as well as the role of the mind in interpretation. In this research, the researcher used the **analytical**, **inductive** and **deductive** method, and **concluded** that The Maturidiyeh is one of the two wings of the Sunnis. Reason is the source of honor and assignment from God Almighty to the servants. Reason is indispensable in all areas of life. Reason is one of the pillars of proving beliefs with the Holy Qur’an and the Prophetic Sunnah. And in inferring the existence of God Almighty, and it is a non-positive knowledge; Because the compelling is God Almighty, interpretation is not corrupt in itself; Because if it is used with its limitations, it will be very useful. The doctrinal difference resulting from interpretation, is mostly not due to the mechanism of interpretation in itself, but to those preconceived ideas and deviant beliefs that lie behind the use of interpretation.

: The researcher **recommends** more studies and research on Maturidi and Maturidi, and their role in country Beyond the river especially, and the Islamic world in general.

Keywords: Maturidiyeh - The Mind - The Transmission - The Existence of God - The Interpretation.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد،،،

فإن المذهب الماتريدي يعتبر من أهم المذاهب الكلامية الإسلامية؛ إذ يشكل مع المذهب الأشعري، مذهب أهل السنة، كذلك فإنه يعتبر حلقة مهمة من حلقات الفكر العقدي في الإسلام.

وزعيم المذهب، أبو منصور الماتريدي أو علم الهدى – كما يطلق عليه– من أهم الشخصيات المؤثرة في العالم الإسلامي بشكل عام، وفي بلاد ما وراء النهر بشكل خاص؛ إذ أنه أحد أئمة أهل السنة، ومن فطاحل نهايات القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع؛ إذ جاهد في نشر فكر أهل السنة، ومقاومة غيره من الأفكار والمذاهب المناوئة لمذهب أهل السنة، وللإسلام بشكل عام، والتي كانت منتشرة في ذلك الزمان في تلك البلاد.

وقد استخدم الماتريدي في دفاعه ذلك، العقل والاستدلال العقلي، وكيف لا، وقد نظر القرآن الكريم إلى العقل والعقلاء نظرة إجلال وإكبار، واحتفى بذوي الألباب، والأفكار الناضجة احتفاء عظيماً، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢] إذن العقل نور يهدى صاحبه([1])، ومن دونه الإنسان قابع في الظلام.

---

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)/ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت/ ج١٣/ ص ١٣٣/ الطبعة: الثالثة ١٤٢٠هـ/ تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

أما عن أسباب اختيار الموضوع

١- المكانة العظيمة لعلم الهدى أبو منصور الماتريدي.

٢- المكانة المؤثرة للمذهب الماتريدي في العالم الإسلامي بشكل عام، وبلاد ما وراء النهر بشكل خاص.

٣- بيان مذهب الماتريدية، ومكانة العقل عندهم.

٤- بيان أهم مجالات استخدام العقل عند الماتريدية.

أما عن منهج البحث فقد اعتمدت فيه على المنهج التحليلي للنصوص، والاستقرائي للبحث عن النصوص، والاستنباطي لتقرير آرائهم، وعرضها بصورة واضحة ميسرة.

أما عن خطة البحث: فقد جاءت في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة، ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

المقدمة بينت فيها، أسباب اختيار الموضوع، والمنهج المستخدم في البحث، وخطة البحث، والتي تتكون من فصلين، وهما:

الفصل الأول: التعريف بالماتريدية ومكانة العقل عندهم (ويشتمل على ثلاثة مباحث)

- **المبحث الأول:** التعريف بالماتريدية.
- **المبحث الثاني:** التعريف بالعقل وأقسامه.
- **المبحث الثالث:** مكانة العقل وأهميته عند الماتريدية.

الفصل الثاني: النماذج التطبيقية لاستخدام العقل عند الماتريدية (ويشتمل على مبحثين)

- **المبحث الأول:** دور العقل في معرفة الله تعالى والاستدلال على وجوده.
- **المبحث الثاني:** دور العقل في قضية التأويل.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج البحث. المراجع. الفهرس.

تمهيد

لقد نظر القرآن الكريم إلى العقل والعقلاء نظرة إكبار وتقدير، واحتفى بذوي العقول المستقيمة والأفكار الناضجة احتفاءً كبيراً، وكيف لا، وقد أمرنا الله تعالى في كثير من الآيات بإعمال العقل بالفكر والاستدلال، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾[الغاشية: ١٧-٢٠].

فالعقل نور من الله تعالى للإنسان، وبه تتم أهلية المكلف، فتجب عليه الفرائض والواجبات الشرعية كافة، ولو فقد المكلف العقل لأصبح فاقد الأهلية، وعليه فإنه يصير غير مطالب بأية فريضة أو تكليف شرعي، ومن جهة أخرى فإنه لولا العقل ما استطعنا فهم القرآن وتدارس معانيه، وتطبيق شرائعه التي أمرنا الله تعالى بها([1]).

ولهؤلاء العقلاء جاءت الرسل والأنبياء، وأنزل الله تعالى عليهم الكتب السماوية، كما قال تعالى: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [يس: ٧٠].

---

(١) التنبيه في الفقه الشافعي/ المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ)/ إعداد: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية/ ص٦٥/ الناشر: عالم الكتب، بيروت/ الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م/ أعده للشاملة: سعد حمودة/ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]/ تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

وراجع كذلك/ مكانة العقل في الفكر العربي/ صالح أحمد العلي/ ص٤٣/ بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها المجمع العلمي العراقي/ مركز دراسات الوحدة العربية/ لبنان/ بيروت/ ١٩٩٦م.

فالحي هو العاقل، يقول الزمخشري في تفسيره: "... لِيُنْذِرَ القرآن أو الرسول وقرئ: لتنذر، بالتاء. ولينذر: من نذر به إذا علمه مَنْ كانَ حَيًّا أي عاقلا متأملا، لأن الغافل كالميت. أو معلوما منه أنه يؤمن فيحيا بالإيمان وَيَحِقَّ الْقَوْلُ وتجب كلمة العذاب عَلَى الْكافِرِينَ الذين لا يتأمّلون ولا يتوقع منهم الإيمان"(١).

ونجد أن القرآن الكريم أكد على أهمية العقل والاستدلال العقلي في كثير من آياته، وبرهن لنا أن نجاح الإنسان في أي من المجالات لا يمكن أن يتحقق إلا باسترشاده بشرع الله تعالى، ثم بخطى العقل، و إن القرآن الكريم هو الدستور، وكذلك هو تعديل للدساتير الإلهية السابقة، متضمناً أمهات أحكامها، مضيفاً إليها إضافات تتناسب مع نضج العقل الإنساني، قـــال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣ ﴾[الشورى: ١٣].

ووظيفة الدستور: التخطيط والتصميم، وبيان القواعد الكلية و الأسس العامة ويجب عدم الخروج عليه، و القرآن هو دستور إلهي جمع المبادئ العامة والقواعد الكلية الثابتة ومكن العقل البشري من (إرجاع الجزئيات إلى تلك الكليات في كل زمان ومكان في ضوء متطلبات الحياة)(٢).

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)/ الناشر: دار الكتاب العربي/ ج ٤، ص٢٧/ بيروت/ الطبعة: الثالثة ١٤٠٧هـ/ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]/ تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

(٢) مكانة العقل في الفكر العربي/ ص ٢٦.

ونلاحظ أن القرآن الكريم لا يذكر العقل الإنساني إلا في مكان التعظيم والتفخيم والتنبيه إلى وجوب العمل باستدلالاته والرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه على سبيل العرض، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها على سبيل الجزم سواء باللفظ والدلالة على عكس ما نراه من كتب الأديان الأخرى، فلا نجد إشارات صريحة أو مضمونة إلى الاستدلال العقلي أو التميز به ولكنها تأتي عرضاً غير مقصودة([1]).

ومن هنا نجد أن القرآن الكريم كرم أصحاب العقول تكريماً كبيراً، وكذلك بين لنا أنماطاً متعددة من أولي الألباب، فمنهم ١- المدركون، ومنهم ٢- الحكماء، ومنهم ٣- الراشدون([2])، والعقل المدرك هو الذي يناط به الفهم والتصوير والوعي، لأنه عقل مفكر ومتذكر ومتبصر، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وبهذا العقل المدرك تجدر الإشارة إلى المكلف بما عليه من نطاق التكليف وهو النظر العقلي الذي يفضي بصاحبه إلى اليقين والجزم ويرتفع به عن المحاكاة والتقليد، اللذين لا يجعلان للإنسان أي دور غير الركود والخمود الذي لا يوصله بصحيح النظر إلى المسلمات التي تميز بين ما هو حسن وأحسن وبين ما هو جيد وأجود.

---

(١) موسوعة عباس محمود العقاد/ ج٥، ص٨٢٩/ طبعة دار الكتب العربية/ بيروت/ ١٩٧١م.

(٢) مكانة العقل في الفكر العربي/ ص ٢٦.

أما العقل الحكيم فهو الذي يتأمل فيما يدركه ويقلبه على وجوهه ويستخرج من مواطنه وأسراره ويبني عليها نتائجه وأحكامه، وهذه الخصائص في جملتها تجمعها ملكة الحكم، وتتصل بها ملكة الحكمة([1]).

ولهذا فقد وجه القرآن الكريم الإنسان إلى النظر والاستدلال العقلي في جميع ما هو موجود في هذا الكون والتأمل فيه، وكان هذا من أهم العوامل والدوافع الرئيسة إلى تأسيس فكر كلامي إسلامي يمثل نزعة عقلية مباركة تمثلت في تكوين مدارس كلامية عقلية ارتقت بعقائد أهل الإسلام من حضيض التقليد إلى ذروة الإتقان بالتذكير والاستدلال العقلي، كما إنها استطاعت تشييد قلاع فكرية ذات أصول عقائدية تهافتت من دونها كل الهجمات الفكرية والعقائدية التي استهدفت النيل والتشكيك في عقائد الإسلام والمسلمين.

وعلى هذا جاء بحثي: "الماتريدية والعقل (دراسة موضوعية)" في فصلين وستة مباحث، وبتوفيق الله تعالى نبدأ في المبحث الأول وهو:

---

(١) مكانة العقل في الفكر العربي/ ص ٤٣.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

التعريف بالماتريدية ومكانة العقل عندهم (ويشتمل على ثلاثة مباحث)

﴿ المبحث الأول ﴾

التعريف بالماتريدية

من هم الماتريدية؟

هم أتباع أبو منصور الماتريدي، فمن هو الماتريدي؟

الماتريدي:

اسمه وكنيته

الماتريدي هو: مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود بن مُحَمَّد أبو منصور الماتريدي.

وأصل نسبته: ماتريت أو ماتريد وهي محلة من سمرقند، وأحيانًا تضاف نسبته إلى سمرقند، فيقال: أبو منصور مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود الماتريدي السمرقندي، وكنيته: أبو منصور.

ألقابه[1]

- إمام الهدى، إمام المتكلمين، مصحح عقائد المسلمين، رئيس أهل السنة والجماعة، مهدي هذه الأمة، ناصر السنة، قامع البدعة، محيي الشريعة، موطد عقائد أهل السنة.

نسبه:

قيل: إن نسب الماتريدي يرجع إلى أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، وهذه النسبة تدل على شرف أسرته و نسبه؛ إذ إنها تنتهي إلى أبي أيوب الأنصاري، وهو الذي نزل عليه رسول اللَّه (ﷺ) حين هاجر إلى المدينة المنورة، لهذا يذكره البياضي فيقول: الإمام أبو منصور مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود الماتريدي الأنصاري.

---

(١) فاطمة يوسف الخيمي/ مقدمة كتاب "تأويلات أهل السنة"/ ص١٦/ ط مؤسسة الرسالة ناشرون/ ط١/ بيروت/ ٢٠٠٤م.

على أن الباحث عن أسرة الماتريدي يجد صعوبة بالغة؛ نظرًا لإهمال المصادر التاريخية لها وسكوتها عن الحديث عنها.

مولده:

لم تذكر المصادر التاريخية تاريخاً محدداً، ولكن نستطيع أن نتلمس مولده في العقد الرابع من القرن الثالث الهجري، وعلى وجه التحديد في عهد المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ)، وبهذا يكون مولده متقدمًا على مولد أبي الحسن الأشعري ببضع وعشرين سنة على الأقل؛ إذ ولد الأشعري سنة ٢٦٠هـ، وقيل: سنة ٢٧٠هـ، ويرجح كون مولده في عهد المتوكل أن هناك شيخين من شيوخه هما: مُحَمَّد بن مقاتل الرازي، ونصير بن يحيى البلخي، مات الأول منهما سنة ٢٤٨هـ، وتوفي الثاني سنة ٢٦٨هـ؛ أضف إلى هذا أن من أقرانه من توفي سنة ٢٦٨هـ وهو مُحَمَّد بن عبد اللَّه بن المغيرة بن عمرو الأزدي.

ويعني هذا أن الماتريدي قد ولد قبل عام ٢٤٨هـ بوقت يسمح له بتلقي العلم عن شيخه الذي مات في تلك السنة.

وفاة الماتريدي:

اتفقت معظم كتب التراجم على أن الماتريدي توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد الهجرة.

البيئة التي نشأ فيها الماتريدي:

عاش الماتريدي في عصر الدولة السامانية التي وليت سمرقند ما بين ٢٦١-٣٨٩هـ، وكان ملوكها أحسن الملوك سيرة وإجلالاً للعلم، نشأ الماتريدي في مدينة سمرقند، تلك المدينة التي تتمتع بخصائص ومميزات- سواء من ناحية طبيعتها، أو أهلها، أو حتى حكامها- تساعد على تحصيل العلم والبروز فيه، فبرز في علوم شتى، أهمها: العقيدة، والتفسير فكان واحد عصره إمام دهره.

الحركة الثقافية في سمرقند:

تمتعت سمرقند بمكانة علمية وثقافية مرموقة، فقد خرج منها علماء أفذاذ في تاريخ الإسلام، كانت لهم بصمتهم الواضحة في الفكر الإسلامي، بل والإنساني، من أمثال: البخاري، ومسلم، وأبي زيد الدبوسي، وآل البزدوي، والكاساني، وعبد اللَّه النسفي، وأبي الحسن الكرخي، والجصاص الرازي، وأبي بكر الشاشي وغيرهم من قادة الفكر الإسلامي، ممن لا يتسع المقام لذكرهم.

هذه هي البيئة التي نشأ فيها الماتريدي، وهي بيئة – من غير شك–تساعد على مدارسة العلم وتحصيله والنبوغ فيه، ولقد كان لها أكبر الأثر في نبوغ الماتريدي.

شيوخه وتلاميذه وأقرانه

أولاً: شيوخه

ولقد تتلمذ الشيخ أبو منصور الماتريدي على يد علماء كبار، ذكرت منهم كتب التراجم أربعة علماء يحتلون مكانة بارزة بين أعلام الفقه الحنفي وبين علماء زمانهم وهم:

١– أبو نصر العياضي، ٢– أبو بكر أحمد الجوزجاني، ٣– مُحَمَّد بن مقاتل الرازي، ٤– نصير بن يَحْيَى البلخي.

ثانيًا: تلاميذه

قد تتلمذ على يد الشيخ أبي منصور الماتريدي كثيرون، صاروا شيوخًا وعلماء كبارًا، وأسهموا في نهضة الحياة الفكرية والثقافية والعلمية في العالم الإسلامي، منهم: ١– إسحاق بن مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن زيد، أبو القاسم القاضي الحكيم السمرقندي، ٢– عبد الكريم بن موسى بن عيسى أبو مُحَمَّد الفقيه البزدوي النسفي، ٣– أبو عبد الرحمن بن أبي الليث البخاري:

ثالثًا: أقرانه

١- علي بن سعيد، أبو الحسن الرُّسْتُغْفَنيُّ، ٢- مُحَمَّد بن أسلم بن مسلمة بن عبد اللَّه بن المغيرة بن عمرو بن عوف الأزدي، وكنيته: أبو عبد اللّه، ٣- مُحَمَّد بن اليمان، وكنيته: أبو بكر، الملقب بالسمرقندي الإمام.

قيمة الماتريدي العلمية

تبين لنا مما سبق أن الماتريدي تعلم على أيدي علماء كبار ينتسبون إلى أبي حنيفة، وأنه قد استفاد من آراء أبي حنيفة الكلامية، ولكنه لم يكن مجرد شارح ومفصل لطريقة أبي حنيفة، بل كان مبتكرًا، له منهجه الخاص به ومذهبه المغاير للمذاهب الكلامية الشائعة آنذاك، ومن ثم فإن علم الكلام استوى على سوقه على يد الماتريدي.

ولكي نتعرف قيمة الماتريدي العلمية لابد من التعرف على مصنفاته في العلوم المختلفة:

١- مصنفاته في التفسير والتأويل[1]

كتاب يسمى: "تأويلات أهل السنة".

٢- مصنفاته في علم الكلام

- كتب: (التوحيد)، (المقالات)، (الرد على القرامطة)، (بيان وهم المعتزلة)، (رد الأصول الخمسة لأبي مُحَمَّد الباهلي)، (رد أوائل الأدلة للكعبي)، (رد وعيد الفساق للكعبي)، (رد تهذيب الجدل للكعبي)، (رد الإمامة لبعض الروافض).

---

(١) مجدي باسلوم/ مقدمة تحقيق كتاب "تأويلات أهل السنة"/ للماتريـدي/ ص ٨٦/ ط دار الكتب العلمية/ لبنان/ ٢٠٠٥م/ أعده للشاملة: أبو إبـراهيم حسانين/ تـاريخ النـشر بالشاملة: ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٣هـ.

٣- مصنفاته في الفقه وأصوله

ذكرت كتب الطبقات للماتريدي في هذا المجال كتابين: كتاب (الجدل)، وكتاب (مآخذ الشرائع).

٤- كتب أخرى

ذكر فؤاد سركين أن للماتريدي رسالة فيما لا يجوز الوقف فيه في القرآن، وهي رسالة صغيرة الحجم، مودعة بدار الكتب المصرية برقم ٣٨٤ قراءات. وعدد صفحاتها خمس، وتدور حول بيان المواضع التي لا يجوز الوقف عليها في قراءة القرآن، وفيما لو تعمد الواقف عليها الوقف بأنه يكفر، ولو وقف ساهيًا فسدت صلاته، وقد بينها الماتريدي -إن صحت نسبتها إليه-في اثنين وخمسين موضعًا في القرآن.

وهذه الرسالة لم يذكرها أحد للماتريدي سوى سيزكين، ومع هذا فلا يستبعد أن تكون له؛ لأن الماتريدي كان دائم الاهتمام بالقرآن وتأويله وبيان أحكامه»

٥- كتب نسبت إلى الماتريدي

١ -كتاب: "شرح الفقه الأكبر"، "العقيدة"، "شرح الإبانة".

وهذه الكتب التي ذكرتها كلها مخطوطة باستثناء كتاب التوحيد، بل إن معظم هذه الكتب مفقود.

يدلنا هذا كله على مكانة الماتريدي العالية، وقدمه الراسخة في العلم، وذيوع شهرته.

أما خصائص منهج الماتريدي، والتي بنى عليها مذهبه، وفكره بشكل عام:

١- تفسير القرآن، بالقرآن؛ إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام اللَّه جل جلاله من اللَّه[1].

(١) التوحيد/ أبو منصور الماتريدي/ تحقيق: فتح الله خليف/ ص ٤/ طبعة دار الجامعات المصرية/ مصر.

٢- تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة([1]).

٣- الاستعانة في التفسير ببيان أسباب النزول.

٤- ذكر الأقوال في تفسير الآية، مناقشة كل قول، ثم الترجيح، ذكر سبب الترجيح.

٥- ذكر آراء المخالفين، وذكر أسماء المخالفين سواء كانوا أشخاص أم فرق، ثم الرد عليهم، مدعماً رأيه بالأدلة العقلية والنقلية.

٦- استخراج القضايا العقدية، وعرضها وشرحها، وبيان مذهبه فيها مدعوماً بالأدلة، مع ذكر آراء المخالفين والرد، عليهم كالمعتزلة وغيرهم.

٧- الموضوعية في العرض والحكم.

٨- الاعتماد على العقل والنقل، والمؤاخاة بينهما في انسجام كامل.

٩- اعتماده في تفسير آيات الأحكام الفقهية على مذهب أبي حنيفة النعمان.

١٠- تأكيد الأفكار؛ باستخدام الأساليب المختلفة.

١١- تكرار تفسير بعض الآيات في مواضع مختلفة، إذا أفاض الله تعالى عليه، بجديد في تفسيرها ليزيدها وضوحا وتثبيتاً.

١٢- الإشارة إلى القراءات المختلفة – حتى الشاذة منها–للآيات.

١٣- الاستناد في التفسير لتوجيهات قواعد اللغة العربية.

---

(١) إشارات المرام من عبارات الإمام: أبي حنيفة النعمان/ كمال الدين أحمد بن حسن البسنوي/ تحقيق: أحمد فريد المزيدي/ ص ٤٦/ طبعة دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت/ ٢٠٠٧م.

﴿ المبحث الثاني ﴾
التعريف بالعقل وأقسامه.

لقد أعطى القرآن الكريم العقل، مكانة كبرى، وقيمة عليا، لذلك لابد لنا من الاهتمام بالعقل ومعرفة:

١- تعريف العقل.
٢- أقسام العقل.
٣- الأدلة النقلية على أهميته، وأهمية إعماله.
٤- الأسباب التي دعت الماتريدي لإعطاء العقل هذه المكانة وهذه الأهمية.

أولا: تعريف العقل لغة

لفظ العقل يطلق، ويراد به معان متعددة:

١- الحجى واللب، وقال بعض اللغويين هو: غريزة يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب[1].
٢- التثبت في الأمور، وسمى عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك[2].
٣- التمييز الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان[3].
٤- الفهم والعلم، يقال: عقل الشيء، أي فهمه وتدبره[4].

---

(١) القاموس المحيط/ الفيروز آبادي/ ج٤/ ص١٨/ ط دار الفكر/ لبنان/ ١٩٦٧م.

(٢) لسان العرب/ ابن منظر/ ج١١/ ص ٤٥٨/ مادة عقل/ ط دار بيروت / ١٩٥٦م.

(٣) مقام العقل عند العرب/ قدري حافظ طوقان/ ص٩/ ط دار المعارف/ مصر / ١٩٩٢م.

(٤) لسان العرب/ ج١١/ ص ٤٥٨.

والعاقل هو: المدرك الفاهم الحكيم، والعاقل: الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير، إذا جمعت قوامه، والعاقل الذي يحبس نفسه، ويردها عن هواها، وأخذ من قولهم قد اعتقل لسانه، إذا حبس ومنع الكلام([1]).

والمعقول ما تعقله بقلبك، والمعقول: العقل، يقال: ما له معقول أي عقل([2]).

تعريف العقل اصطلاحا

لا يوجد تعريف جامع للعقل؛ لأنه اسم مشترك، والمشترك لا حد جامع له؛ لأنه يطلق على عدة معان، والعلماء يطلقونه على **اتجاهات ثلاث:**

الاتجاه الأول: يراد به صحة الفطرة الأولى في الناس، فيقال لمن صحت فطرته الأولى: إنه عاقل، فيكون حده إنه قوة بها يتمكن من التمييز بين الأمور القبيحة والحسنة.

الثاني: يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية، فيكون حده إنه معاني مجتمعة في الذهن تكون مقدمات يستنبط بها المصالح والأغراض.

الثالث: معنى آخر يرجع إلى وقار الإنسان وهيئته، ويكون حده إنه هيئة محمودة للإنسان في حركاته وسكناته وهيآته وكلامه واختياره، ولهذا الاشتراك يتنازع الناس في تسمية الشخص الواحد عاقلا([3]).

وقد عرف المتكلمون العقل بأنه: قوة للنفس بها تستعد للعلوم والإدراكات، وهو المراد من قولهم" غريزة يتبعها العلم للضروريات عند سلامة الآلات"([4]).

---

(١) العقل عند الشيعة الإمامية/ رشدي عليان/ ط دار السلام/ ص ٧٢/ بغداد / ١٩٨٤م.

(٢) لسان العرب/ ج١١/ ص ٤٥٨.

(٣) معيار العلم في فن المنطق/ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي / المحقق: الدكتور سليمان دنيا/ الناشر: دار المعارف، مصر/ عام النشر: ١٩٦١م/ تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

(٤) معيار العلم / الغزالي/ ص ٢٨٧.

وعرفه أهل الحديث بقولهم: "الْعقل ينْطَلق بالاشتراك على أَرْبَعَة معَان أَحدهَا الْوَصْف الَّذِي يُفَارق بِهِ الْإِنْسَان الْبَهَائِم وَهُوَ الَّذِي استعد لقبُول الْعُلُوم النظرية وتدبير الصناعات الْخفية الفكرية وَهُوَ الَّذِي أَرَادَهُ من قَالَ غريزة وكَأَنَّهُ نور يقذف فِي الْقلب يستعد بِهِ لإدراك الْأَشْيَاء(1).

وعرفه الصوفية بأنه: نور، يقول صاحب كتاب الشافي: "... وكَأَنَّهُ نور يقذف فِي الْقلب يستعد بِهِ لإدراك الْأَشْيَاء".

وعرفه آخرون بأنه: "جَوْهَر بسيط.(2)

والذي يهمنا من هذه التعريفات، هو أن العقل هو، تلك القوة التي خلق عليها الإنسان، وبها يدرك البديهيات ويبني عليها النظريات، وأنه تلك القوة التي على أساسها خوطب الإنسان بالوحي وحمل أمانة الخلافة في الأرض.

وكنه العقل وحقيقته لم يهتدي لها الإنسان، قال صاحب الشافي في أصول الكافي: "وحقيقته لم يهتد إلى معرفتها منذ ان نظر الإنسان إلى ظواهر الكون وحاول بتفكيره الوقوف على حقائق الأشياء، فعصت عليه كثير منها مثل العقل والروح"(3).

وبالنظر للدرجات التي يرتقي بها العقل، أو المراحل التي يمر عليها فقد قالوا: "... والعقل اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب والعلم باجتناب الخطأ فإذا كان المرء في أول درجته يسمى أديبا ثم أريبا ثم لبيبا ثم عاقلا كما أن الرجل إذا دخل في أول حد الدهاء قِيلَ له شيطان فإذا عتا في الطغيان قِيلَ مارد

---

(1) كتاب الأذكياء/ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي/ ط مكتبة الغزالي/ تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

(2) التعريفات/ الجرجاني/ ص ١٥٢.

(3) الشافي في شرح أصول الكافي/ عبدالحسين بن الشيخ عبدالله المظفر/ ج١/ ص١٤/ طبعة النعمان/ العراق.

فإذا زاد على ذلك قِيلَ عبقري فإذا جمع إلى خبثه شدة شر قِيلَ عفريت وكذلك الجاهل يقال له في أول درجته المائق ثم الرقيع ثم الأنوك ثم الأحمق"(1).

ثالثا: ينقسم العقل باعتبارات مختلفة إلى عدة أقسام

١- ينقسم العقل باعتبار ما يتعلق به الإدراك، أو من ناحية تفاوت قواه المدركة إلى(2).

- العقل النظري هو الذي يدرك العلوم والمعارف التي لا علاقة لها بالعمل مثل "الكل أعظم من الجزء"(3).
- العقل العملي هو الذي يدرك أن هذا الشيء مما ينبغي أن يعمل أو لا يعمل، وذلك بعد أن يدركه العقل النظري؛ لأن وظيفة العقل العملي هي التطبيق والعمل، أي تحريك النفس نحو العمل، فالعمل النظري هو قوة مدركة، والعقل العملي هو قوة محركة.
- **العقل الهيولاني:** وهو الاستعداد المحض لإدراك المعقولات.
- **العقل الفعال:** هو استكمال للنفس بصورة ما.

٢- يقسم الإدراك العقلي باعتبار تفاوت قوته إلى درجات:

- **الإدراك الكامل القطعي:**

وهو الذي يؤدي إلى اليقين القطعي الذي لا يحتمل الخطأ والاشتباه، مثل إدراكنا أن الضدين لا يجتمعان، وأن زوايا المثلث تساوي قائمتين، ومثل أن الماء يكتسب الحرارة من النار عند وضعه عليها(4).

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء/ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي/ المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد/ ط دار الكتب العلمية – بيروت/ تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

(٢) العقل عند الشيعة الإمامية/ ص٧٦.

(٣) معيار العلم / الغزالي/ ص ٢١٣.

(٤) العقل عند الشيعة/ رشدي عليان/ طبعة دار السلام/ ص٧٧/ بغداد/ ١٩٨٤م.

- **الإدراك الناقص الظني**

وهو ترجيح شيء دون الجزم به؛ لاحتمال الاشتباه والخطأ، كإدراكنا أن الجواد الذي سبق في مناورات سابقة سوف يسبق في المرة القادمة أيضاً، وأن الدواء الذي نجح في علاج أمراض معينة سوف ينجح في علاج أمراض مشابهة، وأن الفعل المشابه للحرام في أكثر خصائصه يشاركه في الحرمة([1]).

تقسيم المعارف المكتسبة من العقل إلى ضرورية ونظرية:

- **المعارف الضرورية أو البديهية:**

وهي عبارة عما حصل في الذهن، ولا يحتاج إلى فكر ونظر، مثل: الاثنين ضعف الواحد.

- **المعارف النظرية أو المكتسبة**

وهي عبارة عما يحصل في الذهن بعد عملية التفكير والنظر في المقدمات، مثل: الحركة تسبب الحرارة، والأرض كروية([2]).

وقد ذكر الماوردي أن العقل ينقسم إلى قسمين([3]):

١ – العقل الغريزي

وهو ما كان موجوداً في النفوس بالفطرة كالعلم بأن العالم لا يخلو من وجود أو عدم، وأن الوجود لا يخلو من حدوث أو قدم، وهذا النوع من العلم لا ينبغي

(١) المعالم الجديدة/ السيد محمد باقر الصدر/ ص ٤٠/ طبعة النعمان/ العراق/ ١٣٨٥هـ.

(٢) العقل عند الشيعة/ ص ٧٨.

(٣) أدب الدنيا والدين/ المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي/ الناشر: دار مكتبة الحياة/ ص ٢٦/ الطبعة: بدون طبعة/ تاريخ النشر: ١٩٨٦م/ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]/ تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

أن ينتفي عن العاقل مع سلامة عقله، فإذا صار عالماً بالمدركات الضرورية فهو عاقل عقلاً غريزياً يناط به التكليف.

٢ – العقل المكتسب

وهو نتيجة العقل الغريزي الموصلة إلى نهاية المعرفة وصحة السياسة وإصابة الفكر، وليس لذلك حد لينتهي إليه؛ لأنه ينمو عند الاستعمال، وينقص عند الإهمال، ونماؤه يكون بكثرة الاستعمال إذا لم يعارضه مانع من هوى، ولا يضار عن شهوة، وهذا العقل هو مناط التكريم المتفاوت بتفاوت نسبة الاكتساب(١).

---

(١) أدب الدنيا والدين/ ص ٢٠.

﴿ المبحث الثالث ﴾
مكانة العقل وأهميته عند الماتريدية

مكانة العقل في القرآن الكريم واضحة جداً؛ فلا تكاد تخلو سور ة من سور القران الكريم، من الدعوة إلى إعمال العقل واستخدامه وإدراك عظمة الله (ﷻ)؛ للوصول إلى المعرفة اليقينية، وكيف لا وقد ميز الله الإنسان به؛ لأنه منشأ الفكر الذي جعله مبدأ كمال الإنسان ونهاية شرفه وفضله على الكائنات، وميزه بالإرادة وقدرة التصرف والتسخير للكون والحياة، بما وهبه من العقل وما أودعه فيه من فطرة للإدراك والتدبر، وللعقل الإنساني القدرة على الإدراك والتمييز والتمحيص، فهو وسيلة الإنسان إلى إدراك فحوى الوحي و وضعه موضع الإرشاد والتوجيه للعمل وبناء الحياة وتنظيمها.

ومن هنا أكد القران الكريم على أهمية وجود العقل، وعلى أهمية إعماله، بالنظر والتدبر والفكر في الأنفس وفي الكون.

وقد جاءت الإشارة إلى العقل في القرآن الكريم في صيغ مختلفة منها ما هي دلالات واضحة على العقل، ومنها ما هي مجازية وهي العقل، واللب، والفؤاد، والنهى، والنفس، وهناك دلالات استعملت أيضا للدلالة على العقل منها الذكر، والفكر، والبصر، والاعتبار، والحكمة، والشعور، والبصيرة، والتدبر

ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وانطلاقاً من اهتمام القرآن الكريم بالعقل، اهتم الماتريدية بالعقل، وجعلوا له مكانة كبيرة في منهجهم العقدي، إلا أنهم يدركون تمام الإدراك أن العقل إذا ترك وحده فهو عرضة للخطأ والزلل، لذلك كان للأدلة النقلية دور كبير بجوار

أدلة العقل، وهو حماية العقل من الزلل والشطط فيما لا يقدر عليه وحده، فالعقل البشري المحدود، عاجز عن إدراك الحكم الإلهية وحده، فلابد من وجود مرشد هاد، وهو النقل الذي يجبر كسر العقول، ومن استغنى بعقله عن النقل فقد ظلمه وحمله ما لا يحتمل([1]).

وهكذا فالماتريدية يعطون مساحة كبيرة للعقل، وبل ويعتمدون عليه بجوار النقل، في للوصول إلى الحق، ولعل السبب في هذا يرجع إلى:

١- البيئة التي ظهرت فيها الماتريدية، فقد نشأ مؤسسها في بلاد ما وراء النهر، الملاصقة لبلاد فارس وخراسان، والتي كانت تعج بكافة التيارات الفكرية، فقد خالطوا الثنوية([2])، بكل طوائفهم من مانوية([3]) ==

---

(١) أطال أبو منصور في شرح وجه الحاجة إلى الرسل وعدم كفاية العقل، وهذه دلالة واضحة على مكانة النص وتقدم مرتبته عند الماتريدية، وفي ذلك خير رد على من أدعى أن الماتريدية أقرب ما يكون إلى المعتزلة "التوحيد/ أبو منصور الماتريدي/ تحقيق: د. فتح الله خليف/ ط دار الجامعات المصرية/ مصر.

(٢) الثنوية هم أصحاب الاثنين الأزليين، الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس القائلين بحدوث الظلام، والثنوية تقول بتساوي الظلمة والنور في القدم، واختلافهما في الجوهر والفعل، والنور عندهم فاعل للخير، والظلمة تفعل الشر، ومن طوائفهم: المانوية، المزدكية، الديصانية، التناسخية، المرقونية. الفرق بين الفرق/ عبدالقاهر بن طاهر البغدادي الاسفراييني/ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد/ ص ٢٨٧/ المكتبة العصرية.

(٣) المانوية: أصحاب ماني بن فاتك، الحكيم الذي ظهر في زمن سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز، وذلك بعد عيسى بن مريم (ﷺ)، أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة سيدنا عيسى (عليه السلام)، ولا يقول بنبوة موسى (عليه السلام). الملل والنحل/ الشهرستاني/ تعليق احمد فهمي محمد/ ص ٤٩/ ط دار الكتب العلمية / بيروت لبنان.

==وديصانية(1) ومزدكية(2) كما ناظروا المشبهة(3) والحشوية(4) والمعتزلة وسائر المخالفين، كل هذا أثر على منهجهم، فتأثروا بمن يناظرونهم، فسلكوا منهجا أقرب إلى العقل منه إلى النص"(5).

٢- أن الماتريدية يفرقون بين الإيمان بالعقائد والعلم بالعقائد، فالإيمان أساسه أدلة القرآن الهادية المرشدة، أما العلم بالعقائد فأساسه العقل، فالنصوص هي

---

(١) الديصانية: هم أصحاب ديصان، أثبتوا أصلين: النور والظلام، النور يفعل الخير قصداً واختيارا، وهو حي عالم قادر مدرك حساس، تكون معه الحياة، وهو بياض كله، أما الظلام فهو يفعل الشر طبعا واضطرارا، وهو ميت عاجز جاهل، لا فعل له، و هو سواد كله. راجع الملل والنحل/ الشهرستاني/ تعليق احمد فهمي محمد/ ج٢ ص ٥٥/ ط دار الكتب العلمية / بيروت لبنان.

(٢) المزدكية: هم أصحاب مزدك، الذي ظهر أيام قباذ والد أنوشروان الذي أجابه لمذهبه، ولكن أنوشروان قتله لخزيه وفساده، وكان يقول بالاصلين: النور والظلمة، النور يفعل بالقصد والاختيار، والظلمة تفعل اتفاقا، وقال بشركة كل الناس في النساء والأموال للقضاء على الخلاف والمباغضة، أحل لأتباعه قتل الأنفس للخلاص من الشر. المرجع السابق

(٣) المشبهة: هم المصرحون بالتشبيه، كغلاة الشيعة، ومضر وكهمس، وأحمد الهجيمي من الحشوية الذين قالوا بأن الله جسم على صورة ذات أعضاء وأجازوا عليه الملامسة والمصافحة، وقالوا بأن المؤمنين المخلصين يعانقونه في الآخرة، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. الفرق بين الفرق / عبدالقاهر بن طاهر البغدادي الاسفراييني/ تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد/ ص ٢٣٥/ المكتبة العصرية.

(٤) الحشوية: هم طائفة من المتمسكين بظاهر النصوص، سموا بذلك لأنهم كانوا ممن يحضرون مجلس الحسن البصري، فلما تكلموا بالسقط قال ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة، أي مؤخرة الحلقة.راجع الملل والنحل ١/ ١٠٣.

(٥) العقيدة الإسلامية أصولها وتأويلاتها/ د. محمد عبدالستارنصار/ ص ٢٣١/ ط٢/ ١٩٨٩م/ ط دار الطباعة المحمدية / مصر.

ظواهر إرشادية يجب الإيمان بها مسبقا، ثم يكون العلم بها بالاستدلال عليها عقلا"([1]).

٣- اعتبر الماتريدية أن المعرفة العقلية صادقة، إذا تمت على شرطها، فالمعارف العقلية تقوم على استنباط نتائج مجهولة من مقدمات معلومة، بتطبيق شروط الاستدلال والسير على قواعده، والمعرفة العقلية الصحيحة هي أساس صحة الحس والخبر، وصدقهما يتم عن طريق المعرفة العقلية"([2]).

وقد ترتب على هذا عندهم، أن اعتبر النسفي العلوم الناتجة عن دلالات العقول على قمة العلوم، يقول أبو المعين: "والعلم الحاصل عن النظر في الدلائل وإن كان يبلغ النهاية في القوة فطريقه أخفى من طريق علم الحواس والبداهة"([3]).

وتقديرا لدلالة العقل عند الماتريدية، فإنهم يرون وجوب المعرفة العقلية ووجوب النظر، معتمدين على أدلة القرآن والسنة الداعية إلى التفكر والاعتبار، فالإمام أبو حنيفة يرى أن أول الواجبات على المكلف هو النظر العقلي، وهذا النظر العقلي هو أساس الإيمان، فالنظر مؤدي إلى معرفة الله وصفاته والإيمان به، ثم الانتقال إلى معرفة الرسل والإيمان بهم والتصديق بكل ما أخبروا به من السمعيات([4]).

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٧٨.

(٢) الفرق الكلامية الإسلامية/ على عبد الفتاح المغربي / ص ٣٧٠/ ط٢/ ط مكتبة وهبة/ ١٩٩٥/ مصر.

(٣) تبصرة الأدلة/ أبو المعين النسفي / تحقيق د. السيد محمد الأنور عيسى/ ص ١/ ١٣٨/ ط المكتبة الأزهرية / ط١/ ٢٠١٠م.

(٤) إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان/ كمال الدين أحمد بن حسن البسنوي/ تحقيق: أحمد فريد المزيدي/ ص ٧٥/ ط دار الكتب العلمية/ ط١/ بيروت/ ٢٠٠٧م.

ويؤكد على هذا المعنى أبو منصور فيقول: بوجوب النظر العقلي وامتناع التقليد، ويبين أن التقليد لا ينظر إليه، إلا إذا عاد إلى حجة عقلية، يقول الماتريدي: "فثبت أن التقليد ليس مما يعذر صاحبه، لإصابة مثله ضده، على أنه ليس فيه سوى كثرة العدد، اللهم إلا أن يكون لأحد ممن ينتهي إليه القول، حجة عقل يعلم بها صدقه فيما يدعي"(١).

ويأتي البياضي فيقرر أن أول الواجبات هو النظر العقلي، ويدعم رأيه هذا بالعبارة المنقولة عن أبي حنيفة، القائل فيها: "ولا عذر لأحد في الجهل بخالقه لما يرى من خلق السماوات والأرض، وخلق نفسه وغيره، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ...١٠ ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ... ٣٨ ﴾ [الزمر: ٣٨]، وحيث كانت سائر الواجبات متوقفة على النظر العقلي؛ ثبت أنه أول الواجبات على المكلف"(٢).

ثم توسع النسفي في الكلام على دلالة العقول، وبين أنها أهم الطرق الموصلة للعلم، ومن نازع في ذلك، فهو مقلد مصر على تقليده، أو معاند مصر على عناده"(٣).

وبالجملة فمنهج الماتريدية يقوم على الجمع بين العقل والنقل، ولتأكيد هذا البيان، نقول إن الماتريدية:

١- أوجبوا المعرفة العقلية بإرشاد من الأدلة السمعية، فالنظر العقلي ما كان واجبا إلا بناء على نصوص القرآن والسنة، بل إن متكلمي سلف الأمة منذ

---

(١) التوحيد ص ٧/٢.

(٢) السابق ص ٨٤.

(٣) السابق ص ١٤٤.

أن تكلموا في هذه المسائل مع الخصوم، وأثبتوا دلائلها في تصانيفهم لم يزيدوا على ما في القرآن والسنة من الإشارات إلى ذلك، بل لم يستخرجوا من نصوصهما عشر ما فيها من درر الحجج، والآيات والأحاديث الدالة على ذلك أكثر من أن تحصى"([1]).

٢- أن وجوب المعرفة العقلية على المكلفين، بحسب استعدادهم، وعلى ما يليق بحال كل مكلف، ولم يوجبوا المعرفة التفصيلية على كل المكلفين كما فعلت المعتزلة.

٣- أن حصول المعرفة بعد النظر الصحيح يسير على أصل شرعي، فقد علم من أصول الشرع، أن الله جرت حكمته بخلق العلم عقب النظر عادة، وليس لازما كما قالت الفلاسفة، أو متولدا عنه كما قالت المعتزلة"([2]).

٤- أن الماتريدية حينما يقررون دلالة العقول، لا يقصدون أن العقل هو الموجب للمعرفة، بل هو مجرد آلة للمعرفة، والموجب في الحقيقة هو الله تعالى([3]).

٥- من أصول المنهج الماتريدي، الاعتماد على النقل، وقد اعتمد أئمتهم على هذا الأصل، بل وجعلوه على قمة مصادر المعرفة، لأن النص أصل الدين، والدين ضروري للناس جميعا؛ إذ لابد أن يكون لهم دين يلزمهم الاجتماع عليه وأصل يلزمهم الفزع إلي"([4]).

---

(١) التوحيد ص ٤٧.

(٢) السابق ص ٨٤، وراجع كذلك السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور ص ٣٢.

(٣) شرح الفقه الأكبر / أبو حنيفة النعمان/ شرح أبـو منـصور الماتريـدي/ ص ١٣٧ / ط دار البصائر / ط١/ ٢٠٠٩م/ مصر.

(٤) التوحيد ص ٤.

٦- وعلى نفس المعنى يؤكد السعد في شرحه على النسفية، والخيالي في حاشيته على شرح السعد، فيثبت كلاهما الخبر كدليل ومصدر للمعارف، ويزيد هذا المعنى تأكيدا البياضي، فيشيد بأهل السنة لسلامة منهجهم القائم على الأدلة النقلية، وينعى على غيرهم إتباعهم نزغات العقول(1).

وكذلك الملا على القارى يصرح بتقديم السمع على العقل تصريحا قاطعا فيقول: "ثم العقائد يجب أن تؤخذ من الشرع الذي هو الأصل، وإن كانت مما يستقل به العقل"(2).

٧- الماتريدية أجمعوا على دلالة النقل لليقين مطلقا إذا كان صحيحا، يقول البياضي: "الدليل النقلي يفيد الاعتقاد واليقين في المعتقدات عند التوارد على معنى واحد بالعبارات والطرق المتعددة والقرائن المنضمات"(3).

وبهذا يسلم الدليل النقلي كأصل من أصول منهج الماتريدية، بل هو مقدم على أدلة العقل عند بعضهم كما سبق بيانه

وبهذا يتضح لنا، أن الماتريدية في اعتمادهم على العقل، لا يستغنون عن الشرع، فالمعرفة العقلية مصدر من مصادر المعرفة، لكن لا تستغني عن توجيه الشرع وإرشاده، وبهذا يتأكد لدينا أن مصادر التلقي عند الماتريدية هي العقل والنقل وأنه لا تعارض بينهما، وأن الكلمة الفاصلة هي للنقل، وأن جل عمل العقل هو محاولة فهمه فهماً صحيحاً.

ومما يزيد هذه الجزئية وضوحاً أن، البحث في كتب الماتريدية يظهر أن الأحكام الشرعية عند الماتريدية تنقسم إلى:

---

(١) العقائد النسفية ١/ ٦٠، وكذلك إشارات المرام ص ٥٢.

(٢) الفقه الأكبر ص ١٧.

(٣) إشارات المرام ص ٤٦.

١- **أحكام عملية:** وهي الفروع الفقهية، وهذه لا تثبت إلا بالسمع.
٢- **أحكام اعتقادية:** وأكثرها ثابت بالعقل، ومنها ما لا يثبت إلا بالسمع، كالرؤية والأخرويات؛ ولذا انقسمت العقائد إلى سمعيات وعقليات.

وإذا وضح هذا التقسيم نقول أن: الماتريدية يقدمون الشرع فيما لا يستقل العقل بإثباته، أما ما يستقل به العقل، فهو يهتدي إليه بإرشاد شرعي، فتقديم العقل هنا، ليس تقليلا من شأن النص، ولكنه لخدمة النص؛ إذ أن ثبوت الشرع يتوقف على العقل من جهة توقفه على النظر في المعجزة، ولا يكون ذلك إلا عقلا تفاديا للزوم الدور.([1])

فالماتريدية فقط، يعطون مساحة للعقل، فالعقل والنقل عندهم، كلاهما مصدر لتحصيل المعارف، النقل مرشد ومؤصل، والعقل في ضوئه مستدل، ويعبر عن هذا الاتجاه الإمام محمد عبده فيقول:" والذي علينا اعتقاده أن الدين الإسلامي دين توحيد في العقائد لا دين تفريق في القواعد، والعقل من أشد أعوانه، والنقل من أقوى أركانه، وما وراء ذلك فنزعات شياطين وشهوات سلاطين، والقرآن شاهد على كل بعمله، قاض عليه في صوابه وخطئه"([2]).

استعمالات العقل عند الماتريدية

١- مناقشة الخصوم ومنكري الوجود الإلهي والرد عليهم حيث كانت بيئته في بلاد ما وراء النهر تعج بديانات مختلفة، وفرق مختلفة (المرجئة والكرامية والخوارج وفرق المعتزلة كالنجارية والحسينية) وثقافات متنوعة، وآراء فلسفية كثيرة لها تصورات تخالف الدين الإسلامي مما أحدث اضطراب

(١) شرح المسامرة ص ٤٤.
(٢) رسالة التوحيد للإمام محمد عبده/ طبعة المطبعة الخيرية/ طبعة٢/ ص٢١/ ١٣٤٣هـ.

سياسي، وبلبلة فكرية كبيرة، فرأي الماتريدي أن من واجبه التصدي له والدفاع عن العقيدة الإسلامية متمثلة في أصلها وهو الوجود الإلهي.

٢- ترسيخ العقيدة الإسلامية وتوضيح مفاهيمها للمسلمين بشكل خاص وللجميع بشكل عام حيث كان الماتريدي في بلاد ما وراء النهر وكانت دياناتهم القديمة كالزرادشتية والمانوية والبرهمية وغيرها، لذلك كان حتميا على الماتريدي ومن هم على شاكلته أن ينشروا الدين الصحيح ويدافعوا عنه، ويبينوا للناس مميزاته عن غيره من الديانات الوضعية.

٣- الوصول إلى الحقائق والدلائل على وجود الله تعالى من خلال إعمال العقل والنظر والفكر، ورفض التقليد، وقد بين القرآن الكريم ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى (اقرأ)، (أفلا ينظرون)، (أفلا يعقلون) وغيرها الكثير من الآيات الداعية إلى إعمال العقل والفكر والنظر وصولا إلى الحقائق وأولها وجود الله تعالى ومعرفته ومعرفة ما يليق به تعالى.

مميزات العقل

• **جعل الله تعالى العقل جزءً من عالمه تعالى،** وقد نبه الماتريدي على ذلك عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ سورة الأعراف: الآية ٥٤، حيث يقول: "... ثم الأصل أن اللَّه سبحانه جعل العقل جزءًا من عالمه، وجعله دليلًا لأهله في معرفة المساوئ والمحاسن، وعلمًا للتمييز بين السفه والحكمة، وبين العبث والإتقان، وجعله بالذي يعرف المحمود من المذموم، والمرغوب فيه

من المنهي عنه، فلم يجز أن يكون إنشاء كل العالم على غير الحكمة؛ لأنه سفه، وهو بالذي جزء من العالم يعلم به الذميم من الحميد ثبت أنه أنشئ للحكمة"([1]).

- **اعتبار أن أهل العقول هم أهل المرتبة الأولى والأعلى**، وقد نبهنا الماتريدي على ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ٧٦﴾ [الأنعام: ٧٦]، حيث يقول: "... أن يكون بفضله ينال الدرجات في أمر دينه، ويرتقي إلى منازل الشرف و الفضل بمشيئته؛ كما قال: **(نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَا)**، وأنه متى شاء الرفع كان، والله أعلم"([2]).
- **أنه نوع من أنواع النعيم**؛ حيث يقول الماتريدي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢﴾ [المطففين: ٢٢]: "... وجائز أن يكونوا في نعيم في الدنيا والآخرة معا؛ فيكونون في الدنيا في نعيم العقول دون نعيم الأجساد، وذلك أنهم يطيعون العقل فيما يدعوهم إليه؛ فيتنعمون بعقولهم، ولكن الذي تدعوهم إليه عقولهم ما تأبى أنفسهم الاستجابة له، ويشتد عليها ذلك، فهم في نعيم العقول لا في نعيم الأبدان، ونعيم الآخرة نعيم البدن والعقل كلاهما، فتتنعم أنفسهم وعقولهم، ولا يحملون ما تأبى أنفسهم احتماله، قال اللَّه – تعالى –: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً... ٤١﴾ [النحل: ٤١]، وقال –

---

(١) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)/ المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)/ المحقق: د. مجدي باسلوم/ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان/ (٤/ ٤٤١)/ الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م/ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]/ تاريخ النشر بالشاملة: ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٣هـ.

(٢) السابق/ (٤/ ١٤٣).

تعالى -: ﴿...فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ...﴾[النحل: ٩٧] الآية؛ فثبت أنهم في الدنيا وفي الآخرة لفي نعيم"([١]).

- **يؤهل اليتامى للاستقلال بأموالهم وأحوالهم الخاصة**، حيث يقول الماتريدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦﴾[النساء: ٦] يقول: "... ووجه آخر: أن يبتلي عقولهم بشيء من أموالهم يتجرون بها، ويتقلبون فيها؛ ... لينظروا: هل يقدرون على حفظ أموالهم عند حدوث الحوادث والنوائب؟... ففيه دليل جواز الإذن في التجارة في حال الصغر؛ لأنه لا يظهر ذلك إلا بالتجارة"([٢]).

- **معرفة الفواحش والمنكرات وتمييزها**؛ حيث يقول الماتريدي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ...٣٦﴾ [آل عمران: ٣٦]: "... إن اللَّه اصطفى من ذكر: فهو - واللَّه تعالى أعلم - ذكر اللَّه أولياءه وأهل صفوته، ثم أعداءه وأهل الشقاء؛ ترغيبًا فيما به استوجبوا الصفوة؛ وتحذيرًا عما به صاروا من أهل الشقاء؛ إذ هما أمران يتولَّدان عن اختيار البشر... لا بنفس الخلقة والجوهر؛ ... فصار الذكر للمعنى الذي ذكرت؛ وعلى ذلك وجه ذكر عواقب الفريقين في الدنيا، وما إليه يصير أمرهم في المعاد؛ وعلى هذا ما ضرب اللَّه

---

(١) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)/ المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)/ المحقق: د. مجدي باسلوم/ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان/ (١٠/ ٤٦٣)/ الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م/ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]/ تاريخ النشر بالشاملة: ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٣هـ.

(٢) السابق/ (٣/ ٢٢).

من الأمثال بأنواع الجواهر الطيبة والخبيثة في العقول والطبائع ترغيبًا وترهيبًا؛ وعلى هذا جميع أمور الدنيا..."([1]).

• **تمييز المعروف والأمر به**؛ يقول الماتريدي في تفسير قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠]: "... المعروف: هو المعروف في العقول، أي: الذي تستحسنه العقول، والمنكر: هو ما قبحته العقول وأنكرته"([2]).

• **إدراك الحسن في:**

١- العقل ٢- الطبع ٣- في الشيء ذاته ٤- في عاقبة الأمور وخواتيمها، وقد بين الماتريدي ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤]حيث يقول:"... وتزين في العقل، فلا يتزين في العقل إلا فيما ثبت حسنه بنفسه،... أو الأمر أو حمد العاقبة ونحو ذلك، ثم جعل العقل مانعًا له، رادًّا عما يرغب إليه الطبع ويميل؛ لأن الطبع أبدًا يميل ويرغب إلى ما هو ألذّ له وأشهى وأخف عليه، وينفر عما يضره ويؤلمه، والعقل لا ينفر إلا عما هو قبيح في نفسه، ويرغب فيما هو حسن في نفسه؛ وعلى ذلك يخرج قوله (ﷺ): "حُفَتِ الجَنَّةُ

---

(١) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)/ المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)/ المحقق: د. مجدي باسلوم/ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان/ (٢/ ٣٥٥)/ الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م/ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]/ تاريخ النشر بالشاملة: ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٣هـ.

(٢) السابق/ (٢/ ٤٥٥).

بِالمَكَارِهِ، وَالنَّارُ بِالشَّهَوَاتِ"([1])، ليس على كراهة العقل، ولا على شهوة العقل؛ ولكن على كراهة الطبع... وشهوته؛ وكذلك قوله: (**(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ)**: ليس على كراهة الاختيار، ولكن كراهة الطبع؛ لأن كراهة العقل كراهة الاختيار، وكذلك رغبة العقول رغبة الاختيار، وفيها تجري الكلفة – أعني: على اختيار العقل، لا اختيار الطبع– بما يميل ويرغب في الألذ، وينفر عن الضار؛ دليله قوله: (**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**)، أخبر أنهم لا يؤمنون ما وجدوا في قضائه حرجًا؛ فدلت الآية أن الخطاب والكلفة إنما يكون على اختيار العقل وكراهيته، لا على اختيار الطبع)([2]).

• **معرفة الصانع، إدراك وجوده و وحدانيته**، وقد بين الماتريدي ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء: ١] حيث يقول:"... في كل ما كان الخطاب للكفرة: ذكر اللَّه (ﷻ) على أثره حُجج وحدانيته، ودلائل ربوبيته؛ ... لأنهم لم يعرفوا ربهم، من نحو ما ذكر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ...﴾ الآية، وكقوله – تعالى –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

---

(١) صحيح البخاري/ أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي/ تحقيق: جماعة من العلماء/ كتاب الرقاق/ باب حجبت النار بالشهوات/ حديث رقم ٦٤٨٧/ الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني/ ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ لدى دار طوق النجاة ببيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي (ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] تاريخ النشر بالشاملة: ٢٤ رجب ١٤٣٣هـ.

(٢) تأويلات أهل السنة/ (٢/ ٣٢٢).

ﭐعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ...﴿٢١﴾ [البقرة: ٢١]، وكقوله (ﷻ): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ...﴿٥﴾﴾ [فاطر: ٥]، ونحوه كثير: ذكر الحجج والدلائل التي بها يوصل إلى معرفة الصانع وتوحيده؛ لينظروا فيها وليتفكروا؛ فيعرفوا بها خالقهم وإلههم» [النساء: ١](١).

- **لزوم الإيمان**؛ وقد بين الماتريدي ذلك عند تفسيره لقوله (ﷻ): ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ... ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥] حيث يقول الماتريدي: "... ويحتمل قوله – تعالى –: ﴿... لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ...﴿١٦٥﴾﴾ حقيقة الحجة، لكن ذلك إنما يكون في العبادات والشرائع التي سبيل معرفتها السمع فقط لا العقل، وأما الدِّين فإن سبيل لزومه بالعقل؛ فلا يكون لهم على اللَّه حجة؛ إذ في خلقة كل أحد من الدلائل ما لو تأمل وتفكر فيها لدلته على هيبته، وعلى وحدانيته وربوبيته؛ لكن بعث الرسل لقطع الاحتجاج لهم عنه، وإن لم تكن لهم الحجة».(٢)

- **تحريم الشرك بالله تعالى عقلاً**، ويتضح ذلك عند تفسير الماتريدي لقوله (ﷻ): ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنعام: ٤٦] حيث يقول الماتريدي: "... وقيل: يراد بأخذ السمع والبصر وما ذكر: أخذ أعينها وأنفسها، أي: لو أخذ اللَّه سمعكم وبصركم وعقولكم، لا يملك ما تعبدون رد هذه الأشياء إلى ما كانوا عليه:... لا يملكون رد السمع إلى ما كان، ولا رد البصر والعقل الذي كان إلى ما كان، فكيف تعبدون دونه وتشركون في ألوهيته؟! يُسفّهُ

(١) تأويلات أهل السنة/ (٣/ ٣).

(٢) السابق/ (٣/ ٤٢١).

أحلامهم لما يعلمون أن ما يعبدون ويجعلون لهم الألوهية لا يملكون نفعًا ولا ضرًّا، فمع ما يعرفون ذلك منهم يجعلونهم آلهة معه"(1).

• **الاتعاظ والفهم والتحرك من خلالهما**، ويتضح ذلك من خلال تفسير الماتريدي لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ...﴾ [البقرة: ١٢٦] حيث يقول الماتريدي: "... فَإِنْ قِيلَ: لم لا كان تفاضل الامتحان بتفاضل النعم، وإنما يعقل فضل الامتحان بفضل العقل،... ويعلم أَن المؤمن هو المفضَّل بالعقل، كيف لا وقع فضل ما به يمتحن – وهو النعم– لأَن العقل الذي به يدرك الحق واحد، لا تفاضل فيه لأَحد، ثم العقل الذي به يمتحن واحد؛ فهما متساويان –فيما به دَرْكُ الحق– إلا أَن أحدهما يدركه فيتبعه، والآخر يدركه فيعانده. فهو –من حيث معرفته–ذو عقل، فإن أعرض عنه؛ فيسمى معاندًا، إذ من لا عقل له يُسمى مجنونًا"(2).

• **تبيين وتوضيح أوامر الله تعالى ونواهيه للعباد**، حيث يقول الماتريدي في شرحه لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ...﴾[آل عمران: ١٨٧] يقول: "... أي: الذين أوتوا العلم بالكتاب، وأَخَذَ الميثاق؛ ليبينوا، أي: يُبَيِّنُوا للناس ما في الكتاب من الأمر والنهي،... وما يحل وما يحرم، وغير ذلك من الأحكام، ولا يكتموا ذلك، ويحتمل: أن أخذ عليهم الميثاق: أنْ بَيِّنُوا للناس بَعْثَ مُحَمَّد (ﷺ) وصفَتَهُ، ولا تكتموه بالتحريف وبترك البيان"(3).

• **مطالبة أهل العلم بنشر العلم**؛ وقد بين الماتريدي ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ

(١) تأويلات أهل السنة / (٤/ ٨٧).

(٢) السابق/ (١/ ٥٦٣).

(٣) السابق/ (٢/ ٥٥٤).

بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨٨] حيث يقول الماتريدي: "... وعن علي (ﷺ) قال: "ما أخذ اللَّه ميثاقًا على أهل الجهل بطلب العلم، حتى أخذ ميثاقًا من أهل العلم ببيان العلم؛ لأن العلم كان قبل الجهل". وقوله (ﷻ): ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ ... ﴿١٨٨﴾﴾ قيل: بما غيَّروا من نعت مُحَمَّد (ﷺ) وصفته في كتابهم وكتموه، وتبديلهم الكتاب، وإعجاب الناس بذلك وحمدهم على ذلك، وقيل: إن اليهود دخلوا على رسول اللَّه (ﷺ)، فقالوا: نحن نعرفك ونصدق بك – وليس ذلك في قلوبهم – فلما خرجوا من عند رسول اللَّه (ﷺ)؛ قال لهم المسلمون: ما صنعتم؟ فقالوا: عرفناه وصدقناه؛ فيقول المسلمون: أحسنتم، بارك اللَّه فيكم: يحمدهم المسلمون على ما أظهروا من الإيمان، وهم يحبون أن يحمدوا على ذلك؛ فذلك تأويل قوله: ﴿...وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ ... ﴿١٨٨﴾﴾. وقيل: إنهم قالوا: نحن أهل الكتاب الأول والعلم، وأهل الصلاة والزكاة. ولم يكونوا كذلك، وأحبُّوا أن يحمدوا على ذلك، واللَّه أعلم بالقصَّة"(١).

- **إدراك الأمور المهمة، وترتيب الأولويات**، وقد وضح الماتريدي ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿۞أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ...﴿٤٤﴾﴾[البقرة ٤٤] حيث يقول: "... وقول الله (ﷻ): قيل فيه بوجوه:... قيل: ﴿۞أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يَعنى: الأَتباع والسفلة باتباعكم، وتعظيمكم لعلمكم، وتلاوتكم الكتاب، ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ ولا تأْمرونها باتباع مُحَمَّد (ﷺ)، وتعظيمه، لعلمه، ولنبوته، ولفضل منزلته عند اللَّه؟! وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾. أي: تجدون في كتابكم أنه كذلك، وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. أن هذا لا يصحُّ؟!. وقيل: ﴿۞أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يعني: الفقراءَ

(١) تأويلات أهل السنة/ (٢/ ٥٥٥).

والضعفةَ بالإيمان بمُحَمَّد (ﷺ)، ولا تأمرون الأغنياء وأهلَ المروءَة بالإيمان به، لما تخافون فوت المأْكلة، والبر،... وانقطاعه عنكم، ويحتمل أن ذا الخطاب لهم ولجميع المسلمين، ألا يأْمر أحدٌ أحدًا بمعروف إلا ويأمر نفسه بمثلهِ، بل الواجب أَن يبدأ بنفسه، ثم بغيره، فذلك أنفع وأَسرع إلى القبول. ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أَن ذلك في العقل لازم أن يجعل أول السعي في إصلاح نفسه، ثم الأمر لغيره. واللَّه أعلم"([1]).

- **وكأنه يريد أن يقول إن الترتيب في الأولويات كالآتي:**

١- اعرفوا أنفسكم ٢- ابحثوا عن الله ٣- اعرفوا الله ٤- وحدوا الله ٥- اعبدوا الله.

- **إدراك النافع من الضار، والخبيث من الطيب والمفيد من المهلك**، وقد بين الماتريدي ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ...١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧] حيث يقول: "... يأمرهم بما هو معروف في العقل وشهادة الخلقة، وهو التوحيد بالله تعالى، وكذلك ينهاهم عما هو في العقل وشهادة الخلقة منكر، وهو الكفر وجميع المعاصي والسيئات، ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: يحل ما هو طيب في العقل والطبع، ويحرم ما هو خبيث في العقل والطبع جميعًا؛ لأن من الأشياء ما هو مستخبث في الطبع لم يجعل غذاء البشر فيه، وإنما جعل غذاءهم فيما هو مستطاب في الطبع بلغ غايته في الطيب، ولا كذلك جعل غذاء البهائم والأنعام؛ هذا محتمل، واللَّه أعلم، ثم

---

(١) تأويلات أهل السنة/ (١/ ٤٤٨).

المعروف الطيبات لو تركت العقول والطباع على ما هي عليه، لكانت لا حاجة تقع إلى رسول يخبرهم أن هذا معروف، وأن هذا طيب أو خبيث أو منكر، ولكن تعرف العقول والطباع ذلك كله، لكن يعترض العقول من الشبه فتمنعها من معرفة ذلك، فاحتاجت إلى رسول يخبر عن ذلك"(١).

• **إدراك العلل وأسباب الأحكام**، يقول الماتريدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١﴾ [البقرة: ٢٢١] يقول: "... ثم وجه التفصيل بين الكتابية والمشركة – واللّه أعلم – في إباحة التناكح: أن المشركة آثرت فعل البهيمي في الدِّين على فعل البشرى،... والكتابية آثرت فعل البشرى، وهو ما يدعو إليه العقل لا الطباع؛ لأنهن يرجعن في الاختيار إلى الإيمان بالرسل لكن أنهى إليهن أنهم نهوا عن الإيمان بمن يدعوهن إليه،... فاعتقدن على ذلك بالآثار عندهن من الحجج، كما اعتقدنا نحن بأن لا نبي بعد نبينا مُحَمَّد (ﷺ) لكن خبرنا صحيح وخبرهم فاسد. وإلا فوجه الاعتقاد على ما في العقل ذلك. وأما المشركة لم تختر ذلك بحجة أنما كان لوجود الآباء على ذلك من غير الإنهاء إلى من في العقل اتباعه؛ كما قالوا: (**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ...**) الآية، فحرم علينا نكاحها؛ لخبث اختيارها واتباع فعل البهيمي، وإيثاره على فعل البشرى. واللّه أعلم"(٢).

• **تحقيق المنفعة وراء الآيات**، وقد بين الماتريدي ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي

(١) تأويلات أهل السنة/ (٥/ ٥٩).

(٢) السابق/ (٢/ ١٣١).

ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [الرعد: ٣] حيث يقول: "... جعل اللَّه (ﷻ) الأشياء أكثرها بأسباب؛ تعليمًا منه الخلق؛ ليكون ذلك عليهم أهون، وإن كان جعل الأشياء عليه بأسباب وبغير أسباب سواء؛ إذ هو قادر بذاته... ذكر أن الآيات تكون آيات لهم؛ بالتفكر والنظر فيها؛ واللَّه أعلم؛ ... لا أن تصير آيات مجانًا بالبديهة، أو يقول: إن منفعة الآيات تكون لمن تفكر فيها؛ لا لمن ترك التفكر والنظر. والله أعلم"(١).

- **الاستماع لأوامر الله تعالى والتفكير فيها والعمل بمقتضاها**، وقد بين الماتريدي ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤] حيث يقول: "... أمر اللَّه – تعالى – بالاستماع إلى هذا القرآن والإنصات له إذا قرئ، وإن كان في العقل أن من خاطب آخر بمخاطبات، فإنه يلزمه الاستماع إلى ما يخاطبه ويشافهه، فاللَّه – سبحانه – إذا خاطب بخطاب أولى أن يستمع له مع ما ذكر في غير موضع من القرآن آيات ما يوجب في العقل الاستماع إليه؛ ... كقوله: (هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ)، وقوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ...﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٣] وغير ذلك من الآيات، ولا سبيل إلى أن يعرف أنه بصائر، وأنه هدى وما ذكر إلا بالاستماع إليه والتفكر فيه؛ فدل أن الاستماع لازم في العقل من له أدنى عقل"(٢).

- **العقل وعدمه كالنور والظلام**، وقد وضح الماتريدي ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢] حيث يقول:

(١) تأويلات أهل السنة/ (٦/ ٣٠٦).

(٢) السابق/ (٥/ ١٢٥).

"... لا يستوي من أخرج من ظلمات البطن بعد ما كان لا يبصر، ولا يسمع، ولا يعقل، ولا يفهم، ثم أبصر وسمع وعقل - والذي ترك في تلك الظلمات على الحال التي كان كما هو: لا يبصر، ولا يسمع، ولا يعقل؛ فعلى ذلك لا يستوي المؤمن الذي يبصر الحق ويسمع ويعقل كل خير ويعلمه،... وجعلنا له نورا يمشي به في الناس بنوره، وله أصحاب يدعون الناس إلى الهدى والخير - والكافر: الذي لا يبصر الخير ولا يسمع ولا يعقل، وليس له أصحاب يدعونه إلى الهدى والخيرات، أي: ليس هذا الذي يبصر ويسمع ويعقل كالذي لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل"(1).

- **القدرة على إقامة الحجج والتمكن من سبل الإقناع**، وقد بين الماتريدي ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً... ﴿٧٤﴾ ... وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٤-٨٠] حيث يقول:"... وليس في قوله: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ دلالة الشك في الابتداء، أو الجهل في الحال التي يحتمل العلم به فسمى به (ﷺ)، ولكن على أنه على ذلك الوجه يكون الإيقان ممن لا يقع عليه الحواس، ولا يوجب علمه الضرورات، إنما هو الاستدلال بالآثار أو تلقى الأخبار، ولا قوة إلا باللَّه"(2).
- **محبة الحق واتباعه**، وقد وضح الماتريدي ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٧٠] حيث يقول:"... كرهوا الحق؛ لما ظنوا أن في اتباعه ذهاب الرئاسة والأسباب التي كانت لهم على أتباعهم،... بعد معرفتهم أنه حق، أو كرهوا؛ لما لم يعرفوا في

---

(١) تأويلات أهل السنة/ (٤/ ٢٤٨).

(٢) السابق/ (٤/ ١٣٦).

الحقيقة أنه حق،... وإلا لا أحد ممن يوصف بصحة العقل وسلامته يكره الحق ويترك اتباعه؛ إلا للوجهين اللذين ذكرناهما، واللَّه أعلم"([1]).

إذن الماتريدي يهتم بالعقل البشري، ويذهب معه إلى أقصى الحدود، ويعدد فوائده ومميزاته، لكن داخل حدود النص الشرعي.

وكذلك يهتم الماتريدي جدا، بالشرع المتمثل في نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية، ويجعلهم أساساً، ينطلق منه في حجاجه العقلي، ضد المنكرين والملحدين وعامة المخالفين.

وبهذا يتضح أن الماتريدي يعمل العقل في إطار الشرع، وبتوجيهه وقيادته.

(١) تأويلات أهل السنة / (٧/ ٤٨٢).

الفصل الثاني

النماذج التطبيقية لاستخدام العقل عند الماتريدية

(ويشتمل على مبحثين)

المبحث الأول: دور العقل في معرفة الله تعالى والاستدلال على وجوده.

المبحث الثاني: دور العقل في قضية التأويل.

﴿ المبحث الأول ﴾

دور العقل في معرفة الله تعالى والاستدلال على وجوده

القضية الأولى: وجود الله تعالى

النموذج الأول على مكانة العقل عند الماتريدية، هو استخدامهم لكلا من العقل والنقل في القضايا العقدية، هو نموذج إثبات وجود الله تعالى.

وقد ساهمت المدرسة الماتريدية في هذه القضية إسهامًا كبيرًا، وقد اتجهت الماتريدية إلى الابتكار أحيانا كثيرة بمنهج جامع بين النقل والعقل، متميز بطابع قرآني واضح في محتوى الأدلة، وهذه ما جعلها تحتل مكانة هامة بين المدارس الكلامية، ولدى الفكر الإسلامي الحديث الذي يرى أن البرهنة على وجود الباري ينبغي أن تصدر من منابع رئيسية منها: الاستناد إلى إشارات القرآن الكريم واستدلالاته، وإلى السنة النبوية المطهرة، ومرورا بالصالح من أدلة المتكلمين، وأخذا بما في المكتشفات العلمية من حقائق تقود إلى الإيمان الجازم، وتفند شبه الملاحدة ومن شاكلهم.

ومن هذه الأدلة:

١- دليل التغير
٢- دليل الأشياء الحية وغير الحية
٣- دليل الأحوال المتضادة
٤- دليل الجواهر والإعراض
٥- دليل العلية أو السببية
٦- دليل تناهي العالم
٧- دليل الحركة
٨- وجود الشر في العالم
٩- دليل العناية أو التسخير
١٠- دليل نظام العالم
١١- دليل الاختراع أو الخلق(١).

---

(١) أبو منصور حياته وآراؤه العقدية / د. بلقاسم الغالي/ ص ١٠٢ / ط٣/ ١٩٨٩/ ط دار التركي / تونس.

تفصيل الأدلة السابقة على النحو التالي:

١ – دليل التغير:

يعتبر هذا الدليل من أهم الأدلة على وجود الله تعالى، وقد عرفه الفكر الإنساني في أشكال شتى وأساليب متنوعة، وأشار إليه القرآن الكريم في أكثر من آية: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وهذا الدليل يستند إلى تغير العالم من حال إلى حال، والتغير لابد له من مغير، فدل تغيره على وجود مغير له، وهو الصانع.[١]

وهكذا يتضح أن كل موجود في هذا العالم، حقيقته قابلة للتغير، والتحول من حال إلى حال، يقول البياضي الحنفي: "يستحيل في العقل الإنساني قيام هذا العالم من السماوات والسيارات وسكون الأرض واختلافها في الكيفيات، وما خص به الإنسان من الهيئات، واستجماع أنواع الكمالات، وما يختص به سائر الموجودات، وتغير أموره من تعاقب الضوء والظلمة، وتغير أحوال الحيوانات والمعادن والنبات من غير صانع وحافظ يحفظه عن الاختلال"[٢].

إن هذا التصوير الرائع لحقائق الكون المتغيرة، التي تشهد بوجود الله تعالى، كانت أساسًا بنى عليه الماتريدي هذا الدليل، وهو دليل في شكل قياس منطقي، مؤلف من صغرى وكبرى ونتيجة، على النحو التالي: العالم متغير، وكل متغير حادث، فالعالم حادث.

لكن ما هي الدوافع، التي دفعت بأبي منصور إلى اختيار مظاهر التغير في الكون وفي الإنسان، للتدليل على مبدأ الحدوث، وبالتالي على وجود الباري سبحانه ؟ إن السر يكمن في أن هذه الحقائق، مبنية على الإحساس والمشاهدة

---

(١) إشارات المرام/ ص ٩٣.

(٢) السابق/ ص ٨٥.

ومسلم بها عند أهل العلم، ولا يمكن اعتماد حقائق ليست ثابتة، ولاهي محل اتفاق بين أهل الفكر والنظر.

ثم أن لدليل الماتريدي طابعا قرآنيا لاشك فيه قال تعالى: ﴿...أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾[الكهف: ٣٧].

٢- دليل الأشياء الحية وغير الحية:

إن الماتريدي قد استعمل هذا الدليل، وبرهن على حدوث الموجودات من خلاله، فقال في كتابه التوحيد:"ليس لأحد من الأحياء أن يدعي لنفسه القدم، بل لو قال ذلك لعرف الناس كذبه بالضرورة، خاصة أولئك الذين شاهدوه صغيرا، أو حضروا ولادته، وبناء على ذلك لزم القول بحدوث الأحياء، ثم إن الأموات تحت تدبير الأحياء فهم لذلك أحق بالحدوث"(١).

إذن يمكن بناء هذا الدليل على النحو الآتي: الأحياء حادثة، والأحياء تستعمل الأشياء غير الحية، فهذه الأشياء حادثة من باب أولى، ويضيف الماتريدي: ثم إن هذه الموجودات تمتاز بخصائص تثبت لها صفة الحدوث، منها أنها محتاجة إلى غيرها، وعاجزة عن إصلاح ما فسد منها، هذا إذا كانت حية، أما إذا كانت ميتة فاحتياجها إلى غيرها أشد، فهي إذن أحق بالحدوث على حد تعبير الماتريدي.

٣- دليل الأحوال المتضادة:

إن هذا العالم قد اشتمل على أحوال مضادة، كالنور والظلمة وكالحرارة والبرودة، وغيرها ولكنها ضبطت بمعايير متناسبة، ونسب دقيقة متداخلة، فلو تجاوزت هذه المقادير وتفاوتت، لاختل نظام الكون، لكنه لم يختل، إذن لابد من قادر قد ضبط ونسق كل شيء.

---

(١) إشارات المرام/ ص ١١.

يذكر الماتريدي أن: "الحركة والسكون، والحسن والقبح، والاجتماع والتفرق، والزيادة والنقصان حقائق متضادة، والعقل البشري لا يجوز اجتماع الضدين في موضع واحد من ذات أنفسهما"([1])، ويضيف حجة أخرى فيقول:"لان الطبائع المتضادة من حقها التدافع، وفي ذلك التبدد والتفاني"([2])، فلابد من جامع جمع هذه الأحوال المتضادة، وقاهر قهرها على ذلك، وبغيره لا تتلاءم ولا تنسجم، وهذه الأحوال أيضا فيها معنى التعاقب فهي إذن حادثة بدلالة الحس والعقل.

والماتريدي يرد بهذا الدليل، على الفلاسفة القائلين بقدم الهيولى، وبأن المادة هي التي تفعل فعلها بصفة آلية "فالإنسان من النطفة، والشجرة من الحب"([3]) وكذلك قولهم "البروز بالقوة"، وذلك بإبراز المظاهر المتضادة والأحوال المتنافرة، ولكنها مع ذلك مسخرة مقهورة، بالإضافة إلى ذلك فصفة التعاقب والانتقال من حال إلى حال تبدوا عليها واضحة جلية، ومن كان ذلك شأنه ثبت له الحدوث.

٤- دليل الجواهر والأعراض:

إن هذا العالم مكون من جواهر وأعراض، وهذه الجواهر تتركب من أجزاء لا تتجزأ أو جواهر فردة، وهي محدثة، وسبب ذلك؛ تغيرها بتغير الأعراض الحالة فيها.

وإذا كانت الجواهر والأعراض محدثة، فالعالم إذن محدث، والذي أحدثه هو الله (سبحانه وتعالى).

---

(١) كتاب التوحيد/ ص١٣،١١٧.

(٢) السابق ص ١٤٣.

(٣) السابق ص ١٣.

قال الماتريدي: "إن الافتراق والاتفاق جاء من قبل الأعراض، والأعراض لا توصف بالاختلاف والاتفاق؛ لأن العرض لا يقوم بالعرض، وإنما يقوم بالجوهر"(١)، وإذا ثبت حدوث الجواهر لاتصال الأعراض بها لكونها متغيرة ولأنها أيضا متصلة بها، لأن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث تبعا للمبدأ الكلامي المشهور(٢) فإنه يتوصل إلى إثبات حدوث العالم.

٥- دليل العلية أو السببية:

وهو من أقوى الأدلة وأكثرها قناعا وأشدها تأثيراً(٣).

وصورته كما عرضها الماتريدي، أن الموجودات لابد لها من موجد "فلا نعلم كتاب بلا كاتب ولا تفرقا إلا بمفرق وكذلك الاجتماع، وكذلك السكون والحركة، فيلزم في جملة العالم ذلك، إذ هو مؤلف مفرق، بل الأعجوبة في تأليف العالم أرفع، فهو أحق ألا يتفرق ولا يجتمع إلا بغيره، ثم كل ما في الشاهد من التأليف والكتابة يكون أحدث ممن به كان، فمثله جميع العالم، إذ هو في معنى ما ذكرت"(٤).

ونلاحظ في هذا الدليل، أن دليل العلية مبني على قاعدة مشهورة عند المتكلمين، وهي أن هذا العالم وما فيه محدث، ولابد لكل محدث من علة، وهذا المبدأ القائل بأن لكل حادث علة، من مبادئ الذهن الأولى، ومن القضايا التي تكاد تتفق عليها العقول، وذلك لأن هناك مبادئ كمبدأ العلية، ومبدأ التناقض مما لا خلاف فيه بين المذاهب الفلسفية.

---

(١) كتاب التوحيد/ ص ١٤١،١٤٢.

(٢) مناهج الأدلة في عقائد الملة/ ابن رشد/ تحقيق محمود قاسم / ص١٢/ ط٢/ الأنجلو المصرية/ ١٩٦٤م.

(٣) الله / عباس محمود العقاد / نهضة مصر/ ص٢١٤/ ط٤/ ٢٠٠٥م/ مصر.

(٤) التوحيد / ص ١٥.

وهو كما تبين من القواعد الواضحة لذلك استند إليه أبو منصور في استدلاله على وجود الله.

٦- دليل تناهي العالم:

عرف هذا الدليل، منذ عهد الفلسفة اليونانية، لدى الفيلسوف أرسطو في صورة برهان رياضي([١])، كما خاض فيه الفكر الإسلامي للتدليل على نهاية العالم، وهذه قضية شغلت حيزا هاما من جهود متكلمي الإسلام على اختلاف اتجاهاتهم، فقد ذكرها البغدادي في المسألة الرابعة عشرة من الأصل الثاني في كتابه: (أصول الدين)([٢])، وألمع إليها الغزالي في كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد)([٣])، وأفاض فيها الشهرستاني عند ذكر القاعدة الأولى من كتابه (نهاية الأقدام في علم الكلام)([٤]).

وصورة هذا الدليل كما عرضه أبو منصور في كتابه (التوحيد): "أن العالم ذو أجزاء وأبعاض، ويعلم أكثر أبعاضه أنه حادث بعد أن لم يكن، ويعلم نماؤه واتساعه وكبره، لزم ذلك في كله، إذ لا يصير اجتماع أجزاء متناهية غير متناهية"([٥]).

وإذا كان الماتريدي قد أشار إلى استحالة اجتماع أجزاء متناهية غير متناهية في الكون، فإن الماتريدية قد تعمقوا في هذا الدليل، اعتمادا على دورات الفلك، وضربوا لذلك مثالا واضحا بعدد دورات الشمس، فإنها أقل من عدد دورات القمر، ويستحيل أن يكونا غير متناهيين لأن أحدهما أكثر من الثاني.

---

(١) مناهج الأدلة/ ص ٢١.

(٢) السابق / ص ٦٦.

(٣) السابق / ص ٩٠.

(٤) السابق / ص ١٣.

(٥) كتاب التوحيد / ص ١٢.

جاء في المصادر الماتريدية "أن العالم لو كان قديما بعد ما ظهر أنه لا يخلو عن الحوادث، للزم وجود حوادث لا أول لها، وللزم أن تكون دورات الفلك غير متناهية، وذلك محال، لأنه لو ثبت لكان قد انقضى مالا نهاية له، ووقع الفراغ منه وانتهى، ومن المحال الظاهر أن يتناهي ما لا يتناهي، وينقضي ما لا ينقضي، وأيضا لو ثبت أن دورات الفلك لا تتناهي، للزم أن يوجد عددان أحدهما أقل من الآخر، وهما غير متناهين، وهذا بين فاسد ظاهر البطلان".

وتوضيحه أن الشمس تدور في كل سنة مرة، والقمر يدور كل شهر مرة، فتكون عدد دورات الشمس أقل من عدد دورات القمر، فكيف يكونان غير متناهيين وأحدهما أكثر من الثاني([1]).

إذن أثبت الماتريدي، ومن كان على مذهبه، أن العالم متناه، وكل متناه حادث، فالعالم حادث.

ومهما يكن من أمر فإن هذا الدليل قد نال عناية متزايدة من الماتريدية؛ لما في القول به من الأهمية البالغة التي تتمثل في الرد على القائلين بقدم العالم، وعدم تناهيه.

٧- دليل الحركة:

ينسب هذا الدليل لأرسطو، الذي ينتهي به إلى إثبات "المحرك الذي لا يتحرك"كما أن هذا الدليل من أهم طرق الاستدلال التي ارتضاها الفلاسفة.([2])

وأما الماتريدي، فقد ذكر دليل الحركة عند برهنته على حدوث الأعيان فقال:"إن الجسم لا يخلو من حركة أو سكون، وليس لهما اجتماع، فيزول من

---

(١) المسامرة بشرح المسايرة ص ٢١.

(٢) الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي/ محمد البهي / ص٤٤٣/ ط الحلبي / ط٢/ ١٩٤٨م.

جملة أوقاته نصف الحركة ونصف السكون، وكل ذي نصف متناه، على أنهما لا يجتمعان في القدم، لزم حدث أحد الوجهين، وببطلانه، أن يكون محدثا في الأزل لزم في الآخر، وفي ذلك حدث ما لا يخلو عنه"([1]).

يتجلى من خلال هذا النص أن كل موجود طبيعي، ساكن أو متحرك أو متردد بين الحالتين، فما من شيء في هذا الكون إلا ويسكن بعد حركة، وإذا كان متحركا فلا يمكن أن يكون محركا لنفسه، وإلا لزم وجوده قبل نفسه، وهذا محال حتى الكائن الذي نقول إنه متحرك من ذاته، فإنه منتظم من قوى، ومن أعضاء يحرك أحدها الآخر([2])، وإذا كان هذا العالم تتداول على موجوداته الحركة والسكون، وهي مدفوعة إلى ذلك مسخرة، فثبت عندئذ أن هناك محركا دفعها إلى الحركة، ومسكنا أجبرها على السكون وجعلها مترتبة في الزمان والمكان ومتعاقبة، ومن اتصف بذلك كان حادثا، وهو ما يريد أن يصل إليه الماتريدي.

وهكذا يتجلى دليل الحركة والسكون كيف تأسس على فكرة زمانية مرتبطة بالحدوث لدى مختلف الأوساط الكلامية([3])، ليتوصلوا بعد ذلك إلى حدوث العالم.

وهو برهان يمكن تطويره حسب مفاهيم العصر الحديث، لأن ما نتج عن حركة بعض الأجسام من طاقات ولدت الحرارة، أحدثت نتائج علمية باهرة يمكن توظيفها من خلال بدائع الاختراع، وعظمة الله في الخلق لتؤدي إلى

---

(١) التوحيد/ ص ١٢.

(٢) الطبيعة وما بعد الطبيعة / يوسف كرم / ط مكتبة الثقافة الدينية/ ص ١٤٣/ ط١/ ٢٠٠٩م/ مصر.

(٣) أصول الدين/ البغدادي/ ص ٤٠ / ط دار الفنون التركية / ط١/ ١٩٢٨م/ تركيا.

الإيمان الجازم لأنه من المستحيل على العقل البشري، أن يصدق أن كوناً معجزا في حركة دائبة من الذرة إلى المجرة قد وجد نتيجة الصدفة العمياء.

٨- وجود الشر في العالم دليل على وجود الله:

من أهم البراهين التي امتاز بها الفكر الماتريدي، برهنته على وجود الله بوجود الشر في العالم، ذلك لأن "العالم لو كان بنفسه، لكون كل شيء لنفسه أحوالا هي أحسن الأحوال والصفات وخيـــرها، فيبطل به الشرور والقبائح، فدل ذلك على موجد وهو الله تعالى"(١).

إن هذا البرهان، الذي اتخذ منه الماتريدي مسلكا للتدليل على وجود الله، لم يسبق إليه بل كان فيه مبتكرا مجددا، فلقد درج الفلاسفة والمتكلمون على انتهاج سبل الخير والجمال للتدليل على وجود الله، كما فعل أفلاطون، أو برهان الغائية كما فعل أرسطو(٢).

ولكن أبا منصور جنح إلى هذا الدليل، لما له من حجة ناصعة، ذلك لأن العالم قد اشتمل على نقص وشر وقبح كما يبدوا ذلك للعقل البشري المحدود، فلو خلق نفسه، فهل كان يرضى لها بهذه النقائص والشرور والقبائح ؟إنه لو كان بنفسه لاختار أروع الأحوال وأجملها، وأبدع الصفات وأحسنها، إذن فهذا العالم كان مكونا بغيره، وهذا المكون هو الله تعالى.

وقد اقتضت حكمة الله وجود الشر لغايات حاول الماتريدي بيانها إذ ما:"من جوهر ضار إلا وفيه حكم ظاهرة، وأخرى خفية لا تستطيع العقول إدراك كنهها"(٣)، وكم من: "جوهر مر او سم إلا وفيه دواء للداء المعضل، ليعلم

---

(١) كتاب التوحيد / ص ١٧.

(٢) مقدمة كتاب التوحيد / فتح الله خليف/ ٣٤.

(٣) التوحيد / ص ١٠٨.

الناظر أن القول بالشر بالجوهر والخير خطأ باطل، بل كل جوهر منه ضر ونفع، فيكون في ذلك أعظم آيات التوحيد"(١).

ويبدوا أن الماتريدي كان مجددا في هذا الدليل، مما يدل على مكانته الهامة في تاريخ الفكر الإسلامي، وفي المدرسة الحنفية السنية على الخصوص، لما اتسم به من نزعة عقلية، وقدرة على الغوص في كنه الموجودات، وإدراك الأغراض منها، وتحليل أهدافها.

٩- دليل العناية أو التسخير:

وهو أشهر الأدلة على وجود الله، وأثراها وأكثرها إقناعا، وملائمة للعقول البشرية، وقد اعتنى به القرآن، وتعددت أساليبه فيه، وكثرت آياته حوله، فسمي بدليل الشرع.

وصورته كما رسم ملامحها الماتريدي في ثنايا كتابه "التوحيد":"إن الله خلق البشر في أحسن تقويم، وسخر لهم جميع ما على وجه الأرض وبركاتها وبركات السماء"(٢) فكل مظاهر الوجود تسير نحو غايات معينة، وهي مسخرة لفائدة الإنسان، وليست نتيجة الصدفة والاتفاق.

والمتأمل في هذه العوالم جميعا، يجد أن الله قد أحاط الإنسان بمظاهر العناية فيها، إذ هي متماشية مع ظروفه، متوافقة مع أحواله، متلائمة مع حياته، ولا يمكن أن يكون هذا التآلف نتيجة الصدفة والاتفاق، إذ يستحيل على الطبيعة وحدها أن تنتج هذا الوضع، وهذا ما برهن عليه العصر الحديث، ودلت عليه العلوم المختلفة.

---

(١) التوحيد/ ص ١١٠.

(٢) السابق/ ص ١٧٨.

وإذا استعرضنا جميع أنواع الموجودات، بدت هذه الحقيقة المدهشة، ألا وهي خدمة هذه الكائنات- من أعظمها قوة إلى أحقرها شأنا -للنوع الإنساني، قال تعالى: ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾ [النحل: ٥-٨].

فإذا فصلنا كلام الماتريدي إلى هذا الدليل قلنا:إن في السماء الكواكب المنتشرة، والقمر ذا المنازل والتقدير، وفيها الشمس أعظم الأجرام، لو قربت أكثر مما هو مقدر لها لأهلكت الحرث والنسل من شدة الحر، ولو كانت أصغر أو ابتعدت عن مسارها، لهلك الناس من شدة البرد، ولاختلفت الأزمنة، ولاضطربت الحياة، قال تعالى: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾[يس: ٣٧].

فكل ما في الكون قد ضبطت غايته، وحدد هدفه، وتبين دوره الذي سيلعبه، قال (ﷻ):﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١﴾ [النحل: ١٠-١١] وإذا كان هذا شأن السماء، فشأن الأرض أعظم، ففيها السهول والجبال والمعادن والحيوانات والنباتات و، كلها ذات منافع عديدة، وفوائد جليلة للإنسان، الذي هو محور هذا الكون وقطبه، قال تعالى: ﴿ ۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

ويتجلى حينئذ، من خلال هذه المنزلة المرموقة، التي حبا بها الله الإنسان، أن ليس هناك جفوة بين الإنسان والطبيعة، بل هي مسخرة له مهيأة للاستثمار من قبله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

من خلال هذا يتبين أن العالم ملائم للإنسان مسخر له، وكلما كان كذلك فهو مصنوع، وصانعه هو الله تعالى.

وقد أشاد بعض الباحثين بفضل سبقه إليه، ذكر د. محمود قاسم: "إننا لا ننصف الماتريدي إن لم نشر إلى استخدامه لهذا الدليل الذي يعد من أقوى الأدلة لفضل جمعه بين العقل والشرع في آن واحد"(١).

١٠- دليل نظام العالم:

ويسمى بدليل الإتقان، وبدليل التقدير، أو دليل الحكمة، إن هذا النظام البادي على الكون والصنع المتقن، والإحكام البديع، والحساب الدقيق، ليس نتيجة قوة عمياء، ولا محض الصدفة كما يدعي ذلك الماديون، بل وراء ذلك قوة مدبرة عليمة وقد ضبطت وقدرت وأتقنت كل شيء، "كالأوقات من الليل والنهار والساعات، ودخول بعضها على بعض على قدر الحاجات"(٢) في تنظيم عجيب وهو المعنى المشار إليه في الآية الكريمة: ﴿...مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الملك: ٣](٣).

هكذا احتج أبو منصور على القائلين بالصدفة والاتفاق، لأن نظاما معجزا كهذا لأعظم دليل على أن الكائنات لم تخلق عبثا، بل المخلوقات جميعها تخضع

(١) مقدمة مناهج الأدلة/ د. محمود قاسم / ص ٢١.

(٢) التوحيد/ ص ٢٢.

(٣) السابق ص ٢١-٢٢.

لحكم معينة، وأغراض محددة، وتسير طبق هدفها المرسوم وحسب غاياتها المقدرة.

قال بعض الفلاسفة إننا نجهل حكمة كثير من المخلوقات، لكن الماتريدي يجيبهم بأن العقول قاصرة عن إدراك الحكمة البشرية، فهل من المعقول الإحاطة بالحكمة الربوبية في جميع الموجودات؟([1])، وقد نبه الماتريدي في غير موضع من كتابه "التوحيد" بعبارات كالاتساق والاتفاق([2]) والسنن الواحدة والحساب الدقيق لجميع الموجودات، فكل شيء تبدو عليه مظاهر التنظيم في ذاته ومع غيره من الموجودات في توازن شامل مع غيره من الموجودات الأخرى.

هذه الحقائق الجلية من الظواهر الكونية في الإنسان والحيوان والمظاهر الطبيعية المختلفة التي لا تحصى ولا تعد، كلها براهين تشهد بأن وراء هذا العالم المتقن، والكون المنظم عليم حكيم قد نظمه، لأنه من المتناقضات العقلية وجود تنسيق عجيب، وترتيب بديع بلا منسق ولا مرتب.

فإذا أضفنا إلى هذا الرصيد العقائدي ما اكتشفه العلم الحديث من ضبط دقيق لما في الكون في مختلف المجالات والنواحي، توصلنا إلى الاعتقاد الراسخ مهما وردت علينا شبهات الماديين.

١١- دليل الاختراع أو الخلق:

يعتبر دليل الاختراع من أعظم الأدلة على وجود الله، وقد اهتم به المفكرون والفلاسفة([3]) بحسب بيئاتهم، وثقافاتهم، وما توصلت إليه من اكتشافات في شتى

---

(١) التوحيد/ ص ٢٢.

(٢) السابق/ ص ٢١-٢٢

(٣) مناهج الأدلة/ ص ١٩٤.

حقول المعرفة، وقد سماه الماتريدي برهان الاستدلال بالخلق، وهذا الدليل قد تكرر في آيات الكتاب الكريم.

والقرآن في هذا الدليل لا يذهب بعيدا عن الإنسان، بل يلفت نظره إلى ما تكثر مشاهدته من حوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠] فهذه دعوة إلى استقراء الموجودات بصيغة "كيف"، والتي تعبر عن روح العلم الحديث، أي أنه يهتم ببيان كيف تتركب الظاهرة، ولا يعنى بالبحث عن الغاية منها.

ومظاهر الاختراع في الكون تفوق الحصر، كأحوال الأرض والمعادن والنباتات والكواكب ...

قال الماتريدي إن تنظيم: "الأزمنة في الشتاء والصيف... أو تقدير السماء والأرض، أو تسيير الشمس والقمر والنجوم، أو أغذية الخلق أو تدبير معاش جواهر الحيوان فإن ذلك كله يدور على مسلك واحد، ونوع من التدبير وانساق ذلك على سنن واحدة، لا يتم بمدبرين، لذلك لزم القول بالواحد"(١).

وقال في تفسيره: "إن الأعجوبة في الدلالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته في خلق الصغير من الجثة والجسم أكبر من الكبار منها والعظام؛ لأن الخلائق لو اجتمعوا على تصوير صورة من نحو البعوض والذباب، وتركيب ما يحتاج إليه من الفم والأنف والرجل واليد ما قدروا"(٢).

---

(١) التوحيد/ ص ٢١.

(٢) تأويلات أهل السنة/ الماتريدي/ تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي/ ج١ص٧٨/ ط مؤسسة ناشرون/ ط١/ ٢٠٠٤م/ بيروت لبنان.

وهكذا نبه الماتريدي على ظاهرة الخلق، وما اشتملت عليه من دقة الصنع، وإلى ظاهرة الإتقان في خلق السماوات والأرض وظاهرة الخلق والاتقان تشمل شتى مظاهر الوجود مما أدركته عقولنا ومما لم تدركه بعد هذه المظاهر التي أحكم الماتريدي استغلالها من حيث العقل والنقل في البرهنة على وجود الله، فأحدث بذلك أثراً كبيراً في الفكر الإسلامي القديم والحديث.

﴿ المبحث الثاني ﴾
دور العقل في قضية التأويل

لا يستطيع أحد إنكار أن التأويل له دور واضح في تكوين الخلاف والاختلاف؛ وهذا يرجع إلى طبيعة التأويل التي تتعلق بالمعاني ولا تتعلق بالألفاظ، أي أنه يتجاوز ظاهر مدلول اللفظ إلى معنى آخر، وهذه الطبيعة هي التي جعلت التأويل سلاحاً ذا حدين، فهو من جهة كان عنوانا للمرونة وللنشاط العقلي وللتوفيق بين النصوص، ومن جهة أخرى كان وسيلة لدى البعض لتحريف مدلولات النصوص.

والباحث قبل بيان رأي الماتريدية في قضية التأويل، سيعرض قضية التأويل بشكل عام، تلك القضية التي حازت على اهتمام العلماء قديما وحديثاً من حيث الحدود والضوابط والمجالات؛ وذلك لأهميتها وتعلقها بالقرآن وببعض آياته على وجه الخصوص، وما يترتب على ذلك من الاختلاف العقائدي والمذهبي.

وسوف نتعرض في هذا المبحث لبيان:

أولا: تعريف التأويل([1])

التأويل لغة: التأويل تفعيل من أول بمعنى رجع أو عاد، والأول الرجوع أو المصير، يقال آل الشيء يؤول أولاً ومآلا أي رجع، وأول الشيء أي رجع، والتأويل التفسير، ويأتي التأويل بمعنى الجمع، يقال: إلت الشيء أؤوله إذا جمعته وأصلحته، فكان التأويل جمع معاني أشكلت بلفظ واحد لا إشكال فيه([2]).

---

(١) كتاب التعريفات/ المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني/ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان/ ص٥٠/ الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م/ تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

(٢) ابن منظور/ ٣٢/ ١١: ٩٢/ ابن الأثير ١/ ٨٠.

يتضح من مجموع المعاني السابقة أن الأصل في معنى التأويل هو المرجع والمصير، أو الرجوع بالأمر أو النص لتبيين المراد الذي سيق لأجله، وكأن المؤول أرجع الكلام إلى ما يحتمله من معاني.

التأويل اصطلاحا: اختلفت عبارات العلماء في بيان المراد بالتأويل من الناحية الاصطلاحية، والاختلاف راجع إلى الاختلاف في المذاهب التي تتصور حدوده أو وظائفه، أو الاختلاف في المراد من الكلمة بحسب السياق القرآني.

ومن أهم التعاريف

- **تعريف السلف للتأويل:**

(أ) تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه، وهذا التعريف يراجف معنى التفسير، وهو المقصود بعبارات السلف من المفسرين كمجاهد وغيره، وهو ما عناه ابن جرير بقوله في تفسيره:" القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا".

(ب) التأويل هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فإذا كان الكلام طلباً كان تاويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً كان تأويله وقوع نفس الشيء المخبر عنه، وهذا المعنى الاصطلاحي للتأويل ترشد إليه آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ...﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: ١٠٠]([١]).

- **تعريف المتأخرين للتأويل:**

هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهذا المعنى هو المراد عند الأصوليين وعلماء الكلام([٢]).

---

(١) ابن تيمية/ ٥/ ٣٥، الذهبي/ ٨٩: ١/ ١٩.

(٢) السابق / ٥/ ٣٧.

أو هو تبيين مراد الشارع من اللفظ بصرفه عن ظاهر معناه المتبادر منه إلى معنى آخر يحتمله بدليل أقوى يرجح هذا المعنى المراد([1]).

فاللفظ له دلالة حقيقية ظاهرة يعرف بها، والأصل حمل اللفظ عليها، فإذا أهملنا الدلالة الحقيقية الظاهرة- والأخذ بها هو الاحتمال الراجح – واستبدلناها بدلالة أخرى مجازية أو خفية مرجوحة لدليل راجح صارف للفظ عن مدلوله الظاهر، ويرجح في الدلالة على ظهور اللفظ في مدلوله، نكون بذلك قد أولنا هذا اللفظ، وصيرنا دلالته إلى هذا المعنى المرجوح.

وقد عرف الآمدي التأويل من حيث الاصطلاح دون النظر إلى صحته أوبطلانه بقوله: "هُوَ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى غَيْرِ مَدْلُولِهِ الظَّاهِرِ مِنْهُ، مَعَ احْتِمَالِهِ لَهُ"([2]).

قوله: "حمل اللفظ على غير مدلوله" احتراز عن حمل اللفظ على نفس مدلوله الظاهر منه، احتراز عن صرف اللفظ المشترك عن أحد مدلوليه إلى الآخر فإنه لا يسمى تأويلاً، "مع احتماله له" احتراز عن صرف اللفظ عن مدلوله الظاهر إلى ما لا يحتمله أصلاً.

والتأويل حسب تعريف الآمدي يشمل المقبول والمردود منه، فإن كان هناك دليل يعضد صرف اللفظ عن ظاهره كان تأويلاً صحيحاً مقبولاً، وإن لم يكن فهو باطل ومردود.

والتأويل وفق تعريف الآمدي هو المراد هنا.

(١) المناهج الأصولية/ محمد فتحي الدريني/ ص١٦٧،٩٧/ ط مؤسسة الرسالة/ ط٣/ ١٩٩٧م.

(٢) الآمدي/ الإحكام في أصول الأحكام الآمدي» (٣/ ٥٣).

إذن التأويل ليس فاسداً في ذاته؛ بل إنه إن استعمل بضوابطه فسيكون مفيداً جداً، ولن تترتب عليه المحاذير التي رتبها عليه البعض، مثل التعطيل، ونقصان كلام الله، وشبهة التلاعب بالنصوص وانتهاك حرمتها.

وأن الاختلاف العقائدي والفكري الناجم عن التأويل في الغالب ليس مرده إلى آلية التأويل نفسها بل لتلك الأفكار المسبقة والعقائد المنحرفة والمآرب الفاسدة التي وراء التأويل.

وأن سبب ضلال كثير من الفرق بتأويلاتهم الفاسدة مرده خوضهم بالعقل فيما لا مجال للعقل فيه؛ لقصوره عن إدراك ما هو خارج المحسوس.

وبالتالي فإن اعتراف الماتريدية بالتأويل واستعمالهم لهم في عقائدهم ليس مأخذاً عليهم، بل هو اعتراف منهم بدور العقل ومكانته عندهم في الاستدلال على العقائد.

ويكفي شاهداً على استعمال التأويل عند الماتريدية وبيان أهميته عندهم، تسمية كتاب الماتريدي "تأويلات أهل السنة" فدلالة التسمية تدل على مكانة التأويل وأهميته عندهم.

ونجد أن الماتريدي في تفسيره، يستخدم لفظة التأويل بدلاً من التفسير، ويعتمد على العقل في كثير من الأحيان، ولعل السبب وراء ذلك هو كون الماتريدي من أنصار مدرسة الرأي التي أسسها الصحابي الجليل عبد اللَّه بن مسعود (ﷺ) وقاد لواءها من بعده أعلام أفذاذ، من أبرزهم أبو حنيفة النعمان وتلميذاه أبو يوسف ومُحَمَّد الذين أثروا الحياة الفكرية والعلمية في الحضارة الإسلامية.

و الماتريدي ليس فقط من أنصار هذا الاتجاه، بل رائد من رواده، لذلك فقد اصطبغ كتابه بصبغة هذه المدرسة، و لم يكن مجرد تابع أو مقلد، بل كان، مجددًا مبدعًا.

ومما يدل على مكانة العقل وأهميته عند الماتريدي أنه يذكر الاحتمالات المتعددة في تأويل الآيات، فهو يذكر في كل آية يتناولها الأوجه الممكنة والمحتملة في تفسيرها، والأمثلة أكثر من أن تحصى في هذا الشأن، نذكر منها نموذجًا واحدًا.

فعند تفسيره لقول اللَّه (ﻷ): **(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ)**، يقف عند قوله تعالى: **(ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ)** يقلب العبارة القرآنية على وجوهها المحتملة، فيقول: **(ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ)** دلالة على أنه لم يقبل ما سمع وعرض عليه؛ إذ لو قبل، لكان يكون مأمنه هذه الدار، لا تلك الدار، ولكان يحق عليه الخروج منها، لا العود إليها.

ثم معلوم أن كلام اللَّه هو حجته، وأن الحجة قد لزمته **لوجهين:**

أحدهما: ما ظهر عجز الخلق عن مثله، وانتشر الخبر في الآفاق على قطع طمع المقابلين لرسول اللَّه بالرد، الباذلين مهجهم وما حوته أيديهم في إطفاء نوره؛ فكان ذلك حجة بينة لزمتهم.

والثاني: أن جميع ما يتلى منه لا يؤتي عن آيات إلا وفيها مما تشهد العقول على قصور أفهام الخلق عن بلوغ مثله من الحكمة وعجيب ما فيه من الحجة؛ مما لو قوبل بما فيه المعنى، وما يحدث به من الفائدة؛ ليعلم أن ذلك من كلام من يعلم الغيب، ولا يخفى عليه شيء، وإذا كان كذلك صار هو بالرد مكابرًا، وحق مثله الزجر والتأديب أنه لم يفعل لما لم يكن يضمن أمانة القبول، ولا أن يعارضه بالرد، وذلك أعظم مما فيه الحدود، فالحد أحق ألَّا يقام عليه، واللَّه أعلم".

ثم قال حول العبارة – أيضًا–: "ثم قوله: **(أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ)** ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن يدعه ولا يمنعه عن العود إلى مأمنه؛ ليعلم أن حكم تلك الدار لم يزل عنه، وأنه لا تلزم الجزية إلا عن طوع أو دلالة عليه.

والثاني: أن يكون عليه حفظه إلى أن يبلغه مأمنه بدفع المسلمين عنه، وفي ذلك لزوم حق الأمان للجميع بإجارة بعض، وعلى ذلك كل مسلم.

ثم سماع كلام اللَّه يخرج عن القرآن، وفيه ما ذكرت من الدلالة، وعلى سماع أوامر اللَّه ونواهيه في حق القرض عليه، وعلى سماع حجج النبوة وآيات الرسالة والتوحيد من القرآن. واللَّه أعلم".(1)

مثال آخر على التأويل عند الماتريدية، نجده عن حديثهم عن عصمة الأنبياء، حيث يقول محقق كتاب تأويلات أهل السنة:"... ويذهب الماتريدية إلى أن الأنبياء معصومون من الصغائر، وأوجبوا تأويل كل ما أوهم في حقهم (عليهم السلام) من الكتاب والسنة مما اغتر به بعض من أجاز عليهم الصغائر، فالأنبياء منزهون عن الصغائر والكبائر ومن جميع المعاصي»(2).

---

(1) تأويلات أهل السنة/ ١/ ٣١٠.

(2) السابق/ ١/ ١٧٨.

الخاتمة

١- الماتريدية أحد جناحي أهل السنة.

٢- العقل هو مناط التكريم والتكليف من الله تعالى للعباد.

٣- العقل لا يمكن الاستغناء عنه في كافة مجالات الحياة.

٤- العقل له دور في إثبات العقائد من خلال التدبر في القرآن الكريم والسنة النبوية.

٥- الماتريدية يقرون بأن العقل له دور أساسي في معرفة وجود الله تعالى، وفي الاستدلال على وجوده تعالى.

٦- التأويل ليس فاسداً في ذاته؛ لأنه إن استعمل بضوابطه، فسيكون مفيداً جداً.

٧- الاختلاف العقدي الناتج عن التأويل، في الغالب ليس مرده إلى آلية التأويل في ذاته، بل إلى تلك الأفكار المسبقة، والعقائد المنحرفة التي تكمن وراء استعمال التأويل.

المصادر و المراجع

١- **القرآن الكريم**

٢- **الله**/عباس محمود العقاد/نهضة مصر/ ص ٢١٤/ ط٤/ ٢٠٠٥م، مصر.

٣- **أصول الدين**/البغدادي/ص ٤٠/ط دار الفنون التركية/ط١/١٩٢٨م/تركيا.

٤- **أبو منصور حياته وآراؤه العقدية**/ د. بلقاسم الغالي/ ص ١٠٢/ط٣/١٩٨٩/ط دار التركي/تونس.

٥- **أدب الاختلاف في الإسلام**/طه جابر العلواني/ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي/ط ١٩٨٧/٣م.

٦- **أدب الدنيا والدين**/المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي/ الناشر: دار مكتبة الحياة/ الطبعة: بدون طبعة/تاريخ النشر: ١٩٨٦م/ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]/ تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

٧- **إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان**/ كمال الدين أحمد بن حسن البسنوي/ تحقيق: أحمد فريد المزيدي/ ط دار الكتب العلمية/ط١/بيروت/٢٠٠٧م.

٨- **الإحكام في أصول الأحكام**/المؤلف: علي بن محمد الآمدي/ علق عليه: عبد الرزاق عفيفي/الناشر: المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت)/ الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ.

٩- **البرهان في علوم القرآن**/ محمد بن عبدالله الزركشي/ تحقيق: محمد إبراهيم/ط دار المعرفة/ط٢/بيروت.

١٠- **التعريفات**/ المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)/ المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر/ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان/الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١١- **التوحيد**/ أبي منصور الماتريدي/ تحقيق: فــتح الله خليــف/ ط دار الجامعــات المصرية/مصر.

١٢- **تــأويلات أهــل الـــسنة**/فاطمـــة يوســف الخيمـــي/ ط مؤســسة الرســالة ناشرون/ط١/بيروت/٢٠٠٤م.

١٣- **تأويلات أهل السنة/ للماتريدي**/ مقدمة التحقيق/ تحقيق: مجدي باسلوم/ ط دار الكتب العلمية/لبنان/٢٠٠٥م/ أعده للشاملة: أبو إبراهيم حسانين/ تاريخ النــشر بالشاملة: ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٣هـ.

١٤- **تاريخ المذاهب الإسلامية**/مجمد أبوزهرة/ طبعة دار الفكر العربي/مصر.

١٥- **التنبيه في الفقه الشافعي**/المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علــي بــن يوســف الفيروزآبادي الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ)/إعداد: مركــز الخــدمات والأبحــاث الثقافية/الناشر: عالم الكتب، بيروت/الطبعة: الأولــى ١٤٠٣هـــ - ١٩٨٣م/ أعده للشاملة: سعد حمودة/ [ترقيم الكتاب موافــق للمطبــوع]/ تــاريخ النــشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

١٦- **تبصرة الأدلة**/ أبو المعين النسفي/ تحقيق د. الــسيد محمــد الأنــور عيــسى/ ط المكتبة الأزهرية/ط١/٢٠١٠م.

١٧- **الجانب الإلهي في كتاب "تأويلات أهل السنة"**/ علي أحمــد التجــاني/ بحــث منشور بمجلة قطاع أصول الدين/٢٠٢١م.

١٨- **الجانب الإلهي مــن التفكيــر الإســلامي**/ محمــد البهــي/ طبعــة الحلبــي/ ط ٢/١٩٤٨م.

١٩- **الحدود في الأصول**/ المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بــن أيــوب الباجي الذهبي المالكي/المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل/ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان/الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٠- **كتاب الأذكياء**/ جمال الدين أبو الفرج عبد الــرحمن بــن علــي بــن محمــد الجوزي/ط مكتبة الغزالي/تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

٢١- **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**/ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي/ المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد/ ط دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٢- **رسالة في حقيقة التأويل**/عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي اليماني/ تحقيق: جرير بن العربي أبي مالك الجزائري/الناشر: دار اطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الرياض/الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٢٣- **رسالة التوحيد للإمام محمد عبده**/طبعة المطبعة الخيرية/ طبعة١٣٤٣/٢هـ.

٢٤- **السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور**/ تاج الدين السبكي/تحقيق: مصطفى صائم بيرم/ طبعة شركة آيدم/ط١/٢٠١١/أنقرة تركيا.

٢٥- **الشافي في شرح أصول الكافي**/ عبدالحسين بن الشيخ عبدالله المظفر/طبعة النعمان/العراق.

٢٦- **شرح الفقه الأكبر**/ أبو حنيفة النعمان/شرح أبو منصور الماتريدي/ط دار البصائر/ط١/٢٠٠٩م/مصر.

٢٧- **صحيح البخاري**/ المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي/ تحقيق: جماعة من العلماء/الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني/ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت.

٢٨- **الطبيعة وما بعد الطبيعة**/يوسف كرم/ط مكتبة الثقافة الدينية/ط١/٢٠٠٩م/مصر.

٢٩- **العقيدة الإسلامية أصولها وتأويلاتها**/ د. محمد عبدالستار نصار/ط١٩٨٩/٢/ ط دار الطباعة المحمدية/مصر.

٣٠- **العقائد النسفية**/ سعد الدين التفتازاني/ تحقيق: أحمد حجازي السقا/طبعة مكتبة الكليات الأزهرية/ط١/١٩٨٧م/مصر.

٣١- **العقل عند الشيعة الإمامية**/رشدي عليان/ط دار السلام/بغداد/١٩٨٤م.

٣٢- **العقل والاستدلال العقلي عند المتكلمين**/ تيسير أحميد الركابي/ طبعة مؤمن قريش/ط١/٢٠١٧/ بيروت لبنان.

٣٣- **الفرق الكلامية الإسلامية**/على عبد الفتاح المغربي/ط٢/ط مكتبة وهبة/١٩٩٥/مصر.

٣٤- **الفرق بين الفرق**/عبدالقاهر بن طاهر البغدادي الاسفراييني/ تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد/المكتبة العصرية.

٣٥- **القاموس المحيط**/الفيروز آبادي/ط دار الفكر/لبنان/١٩٦٧م.

٣٦- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**/المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)/الناشر: دار الكتاب العربي/بيروت/الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ/[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]/تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

٣٧- **لسان العرب**/ المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)/الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين/الناشر: دار صادر - بيروت/الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.

٣٨- **المناهج الأصولية**/ محمد فتحي الدريني/ط٣/ط مؤسسة الرسالة/بيروت/١٩٩٧م.

٣٩- **مقام العقل عند العرب**/ قدري حافظ طوقان/ط دار المعارف/مصر/١٩٩٢م.

٤٠- **مكانة العقل في الفكر العربي**/ صالح أحمد العلي/بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها المجمع العلمي العراقي/ مركز دراسات الوحدة العربية/لبنان/بيروت/١٩٩٦م.

٤١- **موسوعة عباس محمود العقاد**/طبعة دار الكتب العربية/بيروت/١٩٧١م.

٤٢- **معيار العلم في فن المنطق**/ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي/المحقق: الدكتور سليمان دنيا/الناشر: دار المعارف، مصر/عام النشر: ١٩٦١م.

٤٣- **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**/المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)/الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت//الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ/تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ.

٤٤- **مناهج الأدلة في عقائد الملة**/ ابن رشد/تحقيق: محمود قاسم/ط٢/الانجلو المصرية/١٩٦٤م.

٤٥- **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر**/ د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار/الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية/الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ.

٤٦- **الملل والنحل/الشهرستاني**/ تعليق: أحمد فهمي محمد/ط دار الكتب العلمية/بيروت لبنان.

٤٧- **المعالم الجديدة**/ السيد محمد باقر الصدر/طبعة النعمان/العراق/١٣٨٥هـ.

٤٨- **المسامرة في شرح المسايرة**/ الكمال أبي شريف بن الهمام/طبعة مطبعة السعادة/ط٢/١٣٤٧هـ.

٤٩- **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**/ فخر الدين محمد بن عمر الرازي/تحقيق أحمد السقا/ط المكتب الثقافي/ط١/مصر/١٩٨٩م.

فهرس الموضوعات



